

٧٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم
=====

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الأدب والنقد
.....



.....)) لبيد بن ربيعة .. حياته وشعره ..
=====

=====

رسالة مقدمة من
الطالب / حامد محمد جبر أبو عريشان
تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشاذلي
لنيل درجة

التخصص (الماجستير)

١٤٢٧ هـ - ١٩٧٧ م

=====



٧٨٠
٢٧٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

" اقرأ باسم ربك الذي خلق ه خلق الانسان من علق ه
اقرأ وربك الأكرم ه الذي علم بالقلم ه علم الانسان ما لم
يعلم ... "

أحمد الله - تبارك اسمه - على جزيل نعمائه ه
وأشكره - تعالى جده - على جميل آلائه ه وأسأله - وحده -
في عطاءه ه وفضل منائه .

وأصلي وأسلم على رسوله المصطفى ه ونبيه المجتبي ه
سيدنا ومولانا ه وقائدنا ورائدنا ه محمد بن عبد الله سيد العرب والمجم ه
وأفضل من سارت به على الأرض قدم ه ... وعلى آله وأصحابه وأنصاره
وأحبابه ه الذين " أزروه ونصروه " واتبعوا النور الذي أنزل معه ه
أولئك هم المفلحون . "

ومـــــــد ...

فإن مما يسرنى ويشجع صدرى ه ويهيج خاطرى ه ويرجع
قلبي ه ويشجع فؤادى ه ويسر نفسى ه ويشير حسى ه أن أقدم هذا
البحث وأضعه بين أيدي رجال أضاء ه رجال لهم باع طويل في خدمة
الدين والعلم ه وستبقى تلك النخبة رافعة رايته المنتصرة الى يوم
الدين .

كما اننى أقدم جزيل الشكر والعرفان ه الى سيادة الأستاذ
الدكتور أحمد الشرباصى الذى قدم لى ولأختى الدارسين كل مساعدة
وفتح لنا جميعا باب بيته على مصراعيه ه لننهل من موده ه ونكسر
من حياض مكتبته الصامدة ه سائلين الله سبحانه وتعالى أن ينفعه الصحة والعافية
وأن يمد فى عمره ليقدم أبناء هذا الدين الحنيف .

والله المستعان

حامد عريبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

" لماذا اخترت هذا البحث ؟ "

=====

وقع اختياري على الشاعر لبيد بن ربيعة - ليكون موضوع

رسالتى - لمدة أسبَاب :

xx أنه شاعر مخضرم عاش زمنًا في الجاهلية وحقبة من الزمن في ظل الإسلام

وقد كان في طليعة الشعراء المخضرمين عدا شاعر الرسول صلى الله عليه

وسلم - عسان بن ثابت الانصارى - أنه عاش مدة طويلة من الزمن ^{عزله} ~~عن~~

الحياة وعركته ، وخبرته وخبرها ، حتى عد من المعمرين ونحن في حاجة

ماسة الى مثل تجاربه وخبرته في **الحياة** وعكسه التي اكتسبها طيلة حياته .

xx وهو فحل من فحول الشعراء وصاحب المعلقة الرابعة ، وقد عرف ^{ونقله} النقاد

القدماء ماله من مكانة ^{فوقهم} ~~وقد~~ بعضهم في المكانة الالافقة به ، ~~ونفسه~~

بعضهم على شعراء الجاهلية والإسلام إذ كان أقلهم سقطا ولخوا .

xx ولبيد هذا - عدا خضرمته - يعد مثالا ^{حيًا} يستدل به لأصحاب المعلقات

فأهميته تقوم على أنه البقية الباقية من شعراء الجودة والمذاهب .

xx ومع هذا كله لم يأخذ حقه من العناية والدرس إلا إذا استثنينا بعض

الدراسات العاجلة المرتجلة .

xx وقامت حوله أوهام كثيرة ومبالغات وأخطاء تصورها القدماء ونقلها

المتأخرون من الذين كتبوا في الأدب ^{وارادوا} ~~والخمس~~ لاعلام العرب ، من ذلك

متوارثه الكتاب حول امتناعه عن قول الشعر بعد إسلامه ، وكذلك أسطورة

قتله المذيرين ماء الماء •

×× وترجع أهميته كذلك الى أنه شاعر من الشعراء المجددين ، ترك آثارا

شعرية هي في الصدارة بين الشعراء الجاهليين والاسلاميين •

×× كما أنه لم يكن من الشعراء الذين يمرون عبر الزمان ولا يخلفون غير

ديوان ومضمة أخبار ، بل كان كريما من الأجواد ، وقد نذر أن يطعم

ما هبت الصبا ، والتزم بسنته هذه في الجاهلية والاسلام ، وقد صـار

مذكورا بين الناس بخصال تفرد بها فصارت أخباره ومآثره أحاديث الناس ،

ملوكا وأمراء وسوقة •

×× وتبرز أهميته في تاريخ الأدب العربي من جهة أنه رجل له خطره ومكانته

بين الرجال ، فهو من أمجاد الأمة حين ينظر الى المجد من خلال

سيرة العظماء وتاريخ الأبطال من الرجال •

* منهج البحث *

=====

يجدر بنا ونحن دخول على حياة شاعر - عاش مدة من الزمن -
 في الجاهلية وأخرى منه في الاسلام - أن نمرسرين بالشعراء
 المخضرمين ، وتكلم بمايجاز عنهم ، وأن نتناول مجموعة الشعراء الذين
 هز الدين الاسلامي مشاعرهم **وحرك** وجدانهم ، سواء منهم الذين
 انضوا تحت لواء هذا الدين الجديد ، وتفيأوا ~~تحت~~ ظلهم وكرعوا من
 حياضه ومناهله ، فكان نعم المورد أو هؤلاء الذين ارتضوا لأنفسهم
 العزلة ، أو هؤلاء الذين ناصبوه العداء .

وعلى هذا ينحصر حديثنا في شعراء الفترة الاسلامية المحصورة
 بين وضع الدعوة المحمدية في بداية الهجرة حتى بداية العصر الأموي .
 والخضرة . . . اصطلاح اسلامي جديد في معناه الفني وان لم
 يكن جديدا في معناه اللغوي ، فالخضرة بمعناها الجاهلي تتصل بالاذن
 المقطوع من طرفها شيء ، وبالماء الذي فسد فاختلف بين الحلو والمالح ،
 وبالصبي الأسود من أب أبيض ، وواضح من ذلك أن معنى الاختلاط والتداخل
 وارد في كل ذلك ، وحتى المعنى الاسلامي يفيد الاشتراك في عهددين
 مختلفين كاختلاط الحلو والمالح والأسود والأبيض . . ويقال للواحد
 مخضرم ، وقد لازمت الكلمة اتصالها بالاسلام فلم تكن تطلق على من شهد
 عصرين غير الجاهلية والاسلام ، ولكن المتأخرين تجاوزوا في اطرافهم
 على أي عصرين مختلفين .

” البيئـة وأثرها في الشعر الجاهلي ”

=====

كان البيئة أثرها في الشاعر الجاهلي ، يصدر في شعره عن قيم ومثل وعادات هي غرس تلك البيئة ، وكانت دواعي الشعر هي نتاج تلك القيم ، فالروح القبلية المتأصلة تستوجب الحفاظ على القبيلة وأحسابها وأيامها ومفاخرها ، وكان الشاعر لسان قبيلته الذاب عنها المؤرخ لمواقفها وأيامها ، فكان طبيعيا أن ينطلق الشاعر من هذه الاعتبارات وتلك المفاهيم ، فيفاخر ومناقض غيره ويرثي ويمتغنى بالقبيلة ومهاجبي الشعر^{من} الآخرين .

وفي الوقت الذي يكون فيه الشاعر لسان قبيلته لا ينسى نفسه فيذكرها ، وكان عنده أن من تعلم الرجولة والفتوة أن يحب ويمتسبب ويمتغزل ويمتغنى بذكرياته مع من يحب ، وأن يشرب الخمر ويطرب فيذكر الخمر وفعلها ومفاخر في ذلك بأنه يهلك ماله في سبيلها وعرضه لم يكلم ، فإذا شرب وطرب لعب الميسر وأجال القداح ونحر الجزور فأطعم الجائع وأكرم الأضياف وأعان الملهوف وناصر المظلوم ، ثم هو يغير ويقضى على خصمه ويقارع الأنداد ومهزم الأقران .

والشاعر في بيئته الهدوية الصعراوية القاسية^{دائبا} رائب الحركة يمين^{الحل} والترحال ، فإذا ماركب ركوبته في جوف الليل أو وضع النهمار ، أخذ في وصف مصادفه في رحلته من حيوان أو وحش مفترس قاهر ، راسما وواصفا الشجار الذي جرى بينهما مينا كيف انتصر عليه ، وإذا لم يشغل باله بشئ^{حلف} حلف إلى ذكر رحلته ومخاطبة ركوبته ، فكان وصف

الجمال من أبرز الأوصاف ، فإذا مرَّ مطلق دارس أو أثربال وقف واستوقف
وكى واستهكى واجتر ذكريات أيامه الخوالي •

ومن هذه المفاهيم والقيم ومن تلك البيئة والحياة ، كان من
الطبعي أن تبرز فنون الشعر الجاهلي على ما هي عليه دون تحمل أو تصنيع
أو تمتع ، ولذا فإن دولي الشعر ودوافعه كانت قوية توجبها البيئة ونوعية
التفكير ~~وعرض~~ الناس على الشعر وحفاظهم عليه ، فهو تاريخهم يحفظ لهم
مآثرهم وأمجادهم وأيامهم ... الخ •

ولما أشرقت شمس الاسلام على العقول بددت ظلامها ، ونزل
القرآن الكريم فطمأن من تلك المواقف ^{والنفس} ~~الناثرة~~ ، وارتقت العقول ،
النافرة وأعاد اليها الأمن الذي سلته أحقادها طويلة ، وارتقت العقول ،
لتودع حياة الفوضى التي ألفتها وعاشت فيها ، وتجد هاديا يبصرها
بأمور دنياها ، ويهذب من سلوكها كما يبصرها بأمر ربها ، وحساب
أخراها .. وتبقى نفوس حائرة يجتذبها ضلالها القديم ، إذ رأت في
الدين الجديد شيئا يباعد بينها وبين وثنياتها الأولى وضلالها القديم ،
ان ~~تراكب في الدين~~ التي هامت بها ، وعبدتها طوال جاهليتها المظلمة ،
فيصطرح الهدى والضلال بالحجة والبيان ، ثم يحتكمان الى السيف إذا امتد
الخصام الى المدوان •

والى جانب العجة والسيف كان الشعر سلاحا من أمضى الأسلحة
في النيل من الأعداء المصاندين ، وقد أخذ يشق طريقا جديدا ، فيصبح
لسان الدعوة الجديدة ، ويشيد بانتصاراتها ويشيع مبادئها ، وفي إصلاح
المجتمع ، والعمل ^{للدنيا} ~~للمستغنى~~ والآخرة ، كما أصبح كذلك لسان المشركين

يحلنون به أصرارهم على قديمهم ، ويدعون به الى الاستبصال في مناوشة
الهدى والهداة .

وبذلك انتقل الشعر من طور الى طور ، وبعد أن كان تعبيراً عن
أهواء النفوس ، وتشجيعاً للعصبية الفردية ، أو العصبية القبلية ، أصبح
تشجيعاً للمبادئ التي انحصرت في ^{سائر} مبادئ يسيران في اتجاهين متضادين .
وكان هذا عاملاً من العوامل التي أبقت للشعر سلطانه ، وزادته قوة فنية
الحقبة الأولى من صدر الاسلام .

وفي هذا الصراع الخضم كثيراً ما كان يضيف شعراء المسلمين الى تلك
المصانيف المعهودة ما اقتبسوه من دينهم من نيز المشركين بالضلال ، ^{ونسبته} ونسبته
أحلامهم ، والفخر بأنهم دعاة الحرية والهدى ، والتحرر من الوثنية
وعباداة الأصنام .

وكما اعتز الكفار بشعرائهم استعان النبي صلى الله عليه وسلم بذوى
الشاعرية من المسلمين ، يحثهم على تأييده ويقول للأنصار : " ما يمنح الذين
نصروا رسول الله بصلاحهم أن ينصروه بألسنتهم " (١) فينتدب منهم طائفة
من المتحسين لدينهم من أمثال : حسان بن ثابت الأنصاري وكعب بن مالك
وعبد الله بن رواحة ليقفوا صفاً في وجه الشعراء المشركين من أمثال
عبد الله بن ^{الزبيري} الهمري ، وعمرو بن الغاص وأبي سفيان بن حارث وكعب
ابن أكراف اليهودي وكما استحضر القتال في ميدان الوغى ، استحضر القتال
بين شعراء الفريقين ، فإذا دارت الدائرة على المشركين في يوم بدر ، وكتب
الله للمسلمين النصر بهذا العدد القليل ، انطلقت السنة الشاعرية
المسلمين تذكر هذا النصر المؤزر الذي ظفربه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٠ ط . الحلبي .

وأصحابه ، وتندد بقرىش وأبطالهم الذين صرعهم الفى والضلال ،
ولم تخن عنهم كثرتهم شيئا •

فمن فصل ذلك حمزة بن عهد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ،
وكعب بن مالك ، وقد روى له ابن هشام ثلاث قصائد ، وحسان بن ثابت ،
وقد روى له ابن هشام تسع قصائد ، فى هذه الموقعة وحدها ، وعبيدة
ابن الحارث بن عهد المطلب •

ومن أشاد بالمشرىين ، ومكى قتلاهم الحارث بن هشام بن المخيرة
وضرار بن الخطاب ، وعبد الله بن الزيمرى ، وأبو بكر بن الأسود وأميمة
ابن أبى الصلت ، ومعاوية بن وهب بن قيس ، وهند بنت عتبة ، ولها
أربع قصائد فى رثاء أبيها وقومها ، وصفية بنت صامع • الخ

وهكذا ترى الشعر ينشط فى تلك الفترة نشاطا ملحوظا ، ويجسرى
على ألسنة الرجال والنساء ، فاذا قال شاعر من المسلمين قصيدة فى الفخر
بما كتب الله له من النصر ، تصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يهدم
فنه وينقض قوله ، فاذا أنشد حمزة بن عهد المطلب قصيدته التى مطلعها :
لم تر أمرا كان من عجب الدهر •• وللحين أسباب مبينة الأمر
أجابه الحارث بن هشام بن المخيرة بقصيدة على ربيبها ووزنها
مطلعها :

ولا يالقوى بالصباية والمهجر •• ^{والله} ~~والله~~ منى وللحرارة فى الصدر (١)
وحين يقول على بن أبى طالب فى يوم بدر :
لم تر أن الله أبلى رسوله •• بلا عزيز ذى اقتدار وذى فضل

(١) السيرة النبوية : ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ تقديم وتحليق طه عبد الرؤوف

الطائر

يجيبه الطائر بقصيدة على وزنهما وقافيتها مطلعها :

عجبت لأقوام تفنى سفيهم . . . بأمر سقاء ذى اعتراض وذى بطل (١)
وينشد ضرار بن الخطاب بن ^{مرزاس} هذا في النيل من الأنصار والتهديد

بلا انتقام منهم :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر . . . عليهم غدا والدهر فيه بصائر
ويجيبه كعب بن مالك - وهو من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم -

بقوله :

عجبت لأمر الله ، والله قادر . . . على ما أراد ليس الله قاهر (٢)
ويكى عبد الله بن الزهري صري بدر من وجوه المشركين بقصيدته :
ماذا على بدر وماذا حوله . . . من فتية بيض الوجوه كرام
فيشمت به صنوه حسان بن ثابت ويتنص أن تكون دموعه دما :
أبك : بكيت عيناك ثم تبادرت . . . بدم تحمل غروبها سحلم (٣)
ولا ينسى ابن الزهري شماتة حسان ، فإذا كان يوم أحد الذي أبلى
فيه المؤمنون ، أسرج إلى الزهو بما أصاب المشركون في هذا اليوم الذي ثاروا
فيه بقتلاهم فيقول في قصيدته التي مطلعها :

يا غراب البين أسمعت فقل . . . انما تنطق شيئا قد فصل

(١) السيرة النبوية : ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٢

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٤

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٥

ولا ينسى أن يشتفى من حسان الذي سأل له البكاء الطويل
والحزن المقيم يوم بدر فيقول :

أبلغنا حسان عنى آية •• فقريش الشعر يشفى ذا الخلل
ويذكره حسان بيوم بدر ، وما نال المشركين فيه وإن الأيام
دول فيقول :

نزلت بأبن الزيمرى ضربة •• كان منا الفضل لو عدل
ولقد نلتهم ونلنا منكم •• وكذاك الحرب أحيانا دول (١)
وهكذا يظهر لنا أن النقائض وجدت في تلك الفترة في صورتها
الكاملة ، ولم تكن ^{نقائض} جرير والفرزدق والأخطل شيئا ابتدعه الشعراء
في دولة بنى أمية ، بل كان لها أصل معروف كامل الأركان في أوائل
أيام الاسلام •

وتدل تلك النقائض التي ذكرنا طرقا منها على تنبه ملكة العرب
النقدية في تلك الفترة ، لأن صاحب النقيضة يتتبع ما قاله خصمه ، ويحاول
بكل جهد أن يهدم هذا القول بنظم على مثاله وروى على غرار •
وهذا النقد لا يقف ^{يقف} عند المباشرة الموجزة التي يلقيها الناقد ،
ولا عند الأحكام المترجلة ، يبين فيها رأيه في الشعر ، أو في الشاعر ، بل
هو نقد يمكن أن يوصف بأنه نقد عملي ، فيه المحاكاة الظاهرة ، فيه
النقد من أو النقد الفعلي الذي يتناول هدم المصانئ والأفكار • الخ •



هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى ، فإن الإسلام
هذا جاء تلبية لحاجة العرب النفسية والفكرية في طور استعداده
لتقبله ... وكان حدثا هاما وثورة كبرى ليس فقط في تاريخ الأمة
العربية بل في تاريخ الانسانية قاطبة ، وتحولا جذريا عصفت بمفاهيم
الجدلية وعاداتها ، فمزت النفوس وأذهلت الشعراء وعقدت ألسنة ذوي
البيان ... وجاء الإسلام بتعاليم ومفاهيم جديدة ومعايير أخلاقية
غير مألوفة لديهم ، واتصلت فيما تعارفوا عليه ، واستحدثت قيما أخرى
غيرها ، فالعصبية القبلية التي كان يصدر عنها الشاعر ، قد ^{حيث} قضى
عليها ، ^و ^و محلها رباط الايمان والتقوى والصالح ، ووجد الدين الجديد
العرب ، وصاروا أمة واحدة لا تفاخر ولا تفاضل ولا تنابز بالألقاب ، وانما
التفاضل بالتقوى ، قال تعالى : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم " صدق الله العظيم .
والى جانب هذه الثورة الجماعية التي أحدثها الدين الجديد ،
أحدث ثورة شخصية ، فنظم حياة الانسان وهذب نفسه وكبح مشاعره ، وغير
مفاهيمه وعداد له أمورا مباحة مستحبة وأخرى محذورة مستكرهة ، كالتفاخر
والتهاجي ، وأبطل عادات مستقبحة كانت منتشرة انتشارا واسما في مجتمعهم
فسار الخمر والميسر رجسا من عمل الشيطان وعليهم أن يجتنهوه ، وقد فتح
الإسلام للعرب آفاقا جديدة ، فانتشروا في الأرض وامتزجوا بأقوام
جدد ووطأوا أرضا لم يروها من قبل .
ونتيجة لذلك كله اختفت دوافع الشر القديمة أو أوشكت ،
وحل محلها دوافع جديدة هي : ذكر الخير ونشر الدين وبث العقيدة والعفاف

عليها ، والحث على عمل الصالحات •

فأسباب الشمر التي ألفها الشعر والتي كانت خيرا صارت شرا

مستظيرا لهؤلاء الذين أسلموا في بداية الدعوة •

وقد شملت روح الدين الجديد كل المصر وأهله في فترة قصيرة

من عمر الزمن ، فالذي لم يدخل الاسلام قلبه لم يجد من يستجب

ويتجاوب مع شمره ان أراد أن يقوله بروح الجاهلية الاولى ، وعلى

الأخيرة أن الاسلام كان آخذاً في الانتشار كما تنتشر النار في الهشيم •

وقد حاولت فئة من المشركين تقليد القرآن ، لكنه تحدى

العرب أن يأتيوا بمثله ، أو عـشـره مبتدأ بذلك بلاغته وفصاحته

وثبته بيانه ، قال تعالى : " قل : لئن اجتمعت الانس والجن

على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيراً " صدق الله العظيم •

موائق الشعراء من الدين الجديد

=====

للشعراء المخضرمين موائق ثلاثة من الدين الجديد :

(١) شعراء المدينة :

وهم المدافعون عن الرسالة وحاملو لواء الدعوة اليه عن طريق الشعراء وفي مقدمة هؤلاء شاعر الرسول عليه السلام " حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ويعد من ضمن شعراء الدعوة كعب بن زهير ، الذي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشروفة - بالبردة - وغير هؤلاء الشعراء ، وكان هناك عدد من النساء الشواعر ، منهن : صفية بنت عبد المطلب ، ونعمة امرأة شمس بن عفان ، وقد جاء شعرهن جميعا في السيرة النبوية .

(٢) شعراء مكة والطائف :

الذين رثوا قتلى المشركين وهجوا الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ، وقد فقد معظم شعر هؤلاء - اللهم الا قلة قليلة من المقطوعات التي تفي بالحاجات ، وقد عمل المسلمون على طمسها وتجهجوا من نقله وروايته ، ومن هؤلاء الشعراء عبد الله بن الزبير ، وضرار ابن الخطيب ^{الهرجلي} ، والحارث بن هشام ، وأبى سفيان - وفيهم نزلت الآية الكريمة : " والشعراء يتبعهم الفخاؤون ألم تركنهم في كل واد يهيمون " صدق الله العظيم .

وقد انضم لهؤلاء بعض الشعراء من القبائل الأخرى وخاصة
اليهود كامية بن أبي الصلت وكعب بن الأشرف وغير هؤلاء من الشعراء ،
وكان القريض نساء يحرضن على قتال المسلمين ويندبن موتاهم ويبكين قتلاهم
ويمثلن بشهداء المسلمين ، ومنهن : هند بنت عتبة وصفية بنت مسافع ..
وقد امتاز أسلوبهن جميعا بالأسلوب الجاهلي القديم .

(٣) شعراء البادية :

الذين أسلموا دون أن يتحققهم الإسلام ولم يؤثر في انتاجهم
الشعري تأثيرا واضحا ، ومن هؤلاء : مقيم بن نويرة اليموي صاحب المراثي
المشورة في أخيه مالك وغيره .

وعند ذكر المخضرمين وأثر الإسلام فيهم يكون ذكر شعراء البادية
هذا من باب التصميم ، لأن شعراء البادية لا يعد مخضرمًا من الناحية الفنية
فهو صورة مستمرة من الشعر الجاهلي لم يتأثر بالفكر الإسلامي ولا بمعاييره
وقيمه الجديدة .

ومعد أن وقفنا على اتجاهات المخضرمين وموقفهم من الإسلام ،
تدحان لنا أن نلم مسرعين بموقف الإسلام من الشعر والشعراء .

لقد وثق الدين من الشعر موقفا واضحا ، فمن حيث هو يدعو
إلى الصلاح والفلاح والخير والبركة ، لا يحظره ولا يمتحن له ، ولذا أصنى
صاحب الشرع عليه السلام له وأثاب عليه كما فعل مع كعب بن زهير ،
وأما كونه كذبا وتشهيرًا وتجريحا لأعراض الناس ودعوى للهزلية وأحيانا
للمصيبة وإعراضا عن الحق ونفذا للتفاخر والتنازع والتناحر على الباطل ،

هارية

فقد منحه وحظره ، بل حليته ووقف في وجهه ، فقد كان المشركون يحدون القرآن الكريم شعرا ويتمهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر ، لان كلام الله عقد ألسنتهم بفصاحته وروحته وقوة أسرته ، وقد جاء القرآن الكريم ليرد على هذا الزعم ردا حازما وقويا ، حيث قال تعالى : " أم يقولون شاعر تترهبون به رب المنون " ، " وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو الا ذكر وقرآن مبين " ، " وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون " صدق الله العظيم .

هذه ا فيما يتعلق بالرد على الذين يقولون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر وتوله شعر ، وقد ذكر القرآن الكريم الذين هجوا الاسلام والنبي المختار ، فجاء فيهم قوله تعالى : " والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تمر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا " صدق الله العظيم .

هذا وقد بين عليه السلام للناس كافة موقف الدين من الشعر ، روى ابن رشيقي في عمدته : أنه قال صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يحرك الأحقاد ويشعل فتيل النمرة الجاهلية : " لان يمتلي جوف أحدكم قبحا حتى يريه خيرا من أن يمتلي شعرا " .

أما موقفه من الشعر والشعراء الذين يدافعون عن الاسلام ومبادئه ، ويجاهدون في سبيل اعلاء كلمة الحق ويقاتلون ويقتلون دونه ، فكان يستمع اليه ويأخذ بيده ، لأن في ذلك نشر الحق واحتفاء واستتباب الفضيلة وزوال الرذيلة ، فكان يقول لحسان بن ثابت مهنضا اياه على هجاء أعداء الله والدين : " اهج تريشا فوالله لم تجأوت عليهم أشد من وقع السهم فسي

غيش الظلام ، اهجمهم وممك جبريل وروح القدس *
 وللرسول قول يقوم فيه الشعر ويحدد مكانته من الدين ، فقد روى عنه
 أنه قال : " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء وقائدهم الى النار ، وحصان
 ابن ثابت يقود جموعهم الى الجنة " ، وهو القائل مهديا لعجابه بالشعر
 أن الشعر لسحرا " ، وقوله في بيت صاحبنا لبيد بن ربيعة : " أصدق كلمة
 قالها الشاعر قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * * وكل نصيم لا محالة زائل
 ولما سمع عليه السلام بيت طرفة بن العبد :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

استحسنه وقال : " هذا من كلام النبوة " .
 ح

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصت للمناظرة الشعرية التي
 تجرى بين يديه ، فقد قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم عطارد بن
 صاحب بن زرارة في اشراف تميم ومنهم الأقرع بن حابس والزريقان بن بسدر
 وعمرو بن الأهتم ، لمفاخرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف خطيبهم عطارد
 فخطب ، فانتدب الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس الشمرجي للرد
 عليه ، فلما فرغ قام شاعرهم الزريقان فأنشد قصيدة منها هذا البيت :

نحن كرام ، فلا حى يحاد لنا * * منا الملوك وفيما تنصب البيع

وكان حسان بن ثابت غائبا ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فسي

طلبه ليحيب شاعر بني تميم ، فحضر ، وأنشد قصيدته :

ان الدوايب من فخر واخوتهم * * قد بينوا سنة للناس تتبع (١)

وقد ظهر حسان بن ثابت على الزبرقان ، كما تفوق ثابت على عطارده ، وهكذا يظهر لنا جليلة موقف الرسول الكريم المشجع للشعر الذي يخدم الدين والخير والفضيلة والناسي عن الشعر الذي يثير الحقد ويشحن المصيبات ، وما كان منه عليه أفضل السلام أن يقف في وجه الشعر ، وهو العارف الخبير بهذه الأمة الشاعرة ، وهو يدرك أن الشعر طبع منسوس في نفوس العرب حيث قال : " لن تدع العرب الشعر حتى تدع الأهل الحنين " (١) . . . أي أن الشعر فطرة مفروسة في النفوس لا يتخلى العرب عنها ، وأنه لأنهم للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم لزم الحنين للابل .

وقد صار الخلفاء الراشدون على هذا المسلك الذي رسمه لهم أنتم الخلق نحو الشعر والشعراء ، فوقفوا موقفه ، فحاربوا ما كان منه دعوة لشر وضغينة وهادنوا ما كان منه دعوة لفضيلة ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " اربوا في الشعر أحسنه " ، وكان كثيرا ما يستمع للشعراء ويجلسهم معه ويناقشهم ، ويقابل الوفود ، كوفد غطفان ، غير أن موقف الخلفاء الراشد من الهجاء كان حازما وشديدا وعلى وجه أخف الخليفة عمر بن الخطاب ، وحبه للشاعر الخطيئة أمر ذائع معروف لهجائه وطولة لسانه ، ولا ينبغي مجن في شربه ومهاقرته الخمر والتول فيه .

ذلك كان موقف الذكر الحكيم وقائد الفكر الإسلامي وأصحابه من الشعر والشعراء ، وهو موقف ينبثق من طبيعة الدعوة وروح الرسالة الإسلامية ،

فالشعر غير محظور ، بل على العكس كان محل تشجيع ومثوبة
واهتمام ، مما جعل الشعر يخطو إلى الأمام ، ويقود الناس
إلى طريقى الصلاح والرشاد ، ويساعد السيف فى نشر
الدعوة ، ويطمس معالم الجاهلية •
قد حان الآن أن ندخل فى صلب موضوعنا الأصلى ،
والله المستعان •

الكتاب الأول

=====

((ر ل ه د و ح ا ت))

=====

الباب الأول

== ==

((عصرا ليهـد وحيـاته))

=====

الفصل الأول

عصر الشاعر ((بين الجاهلية والإسلام))

=====

يعد لبید من المصمرین الذین عاشوا دهرًا طویلًا حتی سئم
الحياة ، وقد تواترت الروایات والأخبار علی أنه عمر دهرًا طویلًا ،
ولكن هؤلاء الرواة تباینوا فی مدة الدهر هذا ، الا أنهم غالوا فی
عمره ، فأكثر الروایات تواضعا تذهب الی أنه عاش ثلاثین ومائة سنة
علی ما یذكر الکلی ، والبعض ذکر أنه عاش خمسا وأربعین ومائة ، غیر
أن أكثر الروایات تطرفا تقول : " انه عمر سبعا وخمسين ومائة ، ويذكر
القرشي : " عزم علیه نکاح خمس مائة امرأة من نساء بنی عامر ، البعض
منهن بناته والبعض الآخر بنات بناته " (١)

وقد شكا لبید من الدهر عندما ثقلت علیه أعباء الحیاة
وهومها ، ويذكر أنه قال وحوفي السابعة والسبعین :

قامت تشكى الی الموت مجهشة . . . وقد حملتك سبعا بعد سبعا

فان تزدی ثلاثا تبلى أملا . . . وفي الثلاث وفاء للثمانینا

ويروى : " قامت تسعی الی النفس " (٢)

ولما بلغ التسعين قال :

كأنی وقد جاوزت تسعين حجة . . . خلعت بها عن منكبي ردائیا

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣١

(٢) دیوان لبید : دار صادر بیروت ص ٢٣٩

ويروى : " كَأَنِّي قَدْ خَلَفْتُ " (١)

ولما بلغ المشقة بعد المائة قال :

أليس في مائة قد عاشها رجل . . . وفي تكامل عشر بعدها عمر (٢)

ولما زاد عمره عن ذلك قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها . . . وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ويقول أيضا : —————

غلب المزاء وكنت غير مضرب . . . دهر طويل دائم مدود

يوم إذا يأتي على وليلة . . . وكلاهما بعد المضاء^{المضاء} يعود

وأراه يأتي مثل يوم لقيته . . . لم ينصم وضعفت وهو شديد (٣)

ويروى : " غلب الرجال لم ينتقص " (دار صادر بيروت) .

ولربما يقول البعض : أليس من الواضح أن أبا عقيل قد أنق

عمره واعترف أنه بلغ عشر بعد المائة من السنين ؟ فهو إذن وفر على الباحث

مجهوده في حالة هذه الأبيات ، ويروى الرواة بعضها من أبياته لم

يتطرق فيها إلى عمر محدود ، غير أنهم ذكروا أنه قالها حين بلغ الأربعين

بعد المائة . . . كل ذلك وارد ، ولكن الأبيات التي عين عمره فيها —————

لأنها في شيء ، لأن واقع الحياة يقول : أن الرجل إذا جاوز الثمانين من

عمره تختلف عليه السنون أغلب الظن ويأخذه الكبر والوقار فيبالغ في عمره

(١) حديث الأرماء ج ١ ص ٥١ . طه حسين .

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ٢٩١ . الأصفهاني .

(٣) كتاب المصربين ص ٦٦ . أبو هاشم المجستاني .

ودهره سواء ذلك وهما منه أو مهالغة وتجاوزا ، أما الرواة فهم يختلفون^٧

في رواية الأبيات أولا وفي مضمون الرواية ثانيا .
ولنرى بماذا اقدر الباحثون عمر لبيد^{الباشموم} ٢٠٠٠

فابن قتيبة يذكر أنه توفي أول خلافة معاوية سنة ٤١ هـ - ٦٦١ م ،
عن سبع وخمسين ومائة سنة ، أي أنه ولد سنة ٥٠٤ م ، أما صاحب الاصابة
فيذكر أن لبيدا لم يدرك عهد معاوية وإنما توفي في عهد عثمان
أيام الوليد بن عقبة ، وعنه أخذت دار صادر بيروت ، حيث ذكرت أنه توفي
في خلافة عثمان بن عفان ، ومن المعروف أن عثمان تولى الخلافة
سنة ٢٣ هـ - ٦٤٣ م ، ومعنى ذلك أن هذه الرواية على خلاف الروايات
التي تقول : ان لبيدا أدرك معاوية وكانت بينهما كلمة حول العطاء ،
وقد ذكرها صاحب الاصابة رواية أخرى تقول : " أدرك لبيد معاوية وهو
في الأربعين والمائة ، فيكون ميلاده سنة ٥٢١ م ، أما جورجى زيدان فيقرر
أن لبيدا توفي سنة ٦٧ هـ ، وأن عمره خمسا وأربعين ومائة ، فيكون ميلاده^{٨٨٧}
والحالة هذه سنة ٥٤٤ م .

أما أغرب الروايات وأكثرها ارتجالا ، فهي رواية بدر الدين العسوى
فيذهب على أنه توفي ٦٠ هـ ، أي جعله يصر حتى خلافة يزيد بن معاوية
وأن أكثر الروايات تواضعا هي رواية كارل بروكلمان ، فيذهب الى أنه ولد
سنة ٥٦٠ م ، وتوفي سنة ٦٦٠ م ، ليلة نزول معاوية بالخميلة لمصالحمة
الحسين بن علي (١) ، فيكون عمره مائة سنة .

هذا ٠٠٠ وأن الرواة مجمعون أن لبيدا كان غلاما لما قدم في وفد من قومه على النعمان بن المنذر ، ونحن نعلم أن النعمان هذا كان موجودا من ٥٨٠ - ٦٠٦ م على الأرجح ، وهو صاحب النابغة الذبياني ، فإذا سلمنا أن قدم وفد الجعفريين على النعمان كان في أول ملكه ، وإذا سلمنا أن لبيدا كان عمره إذ ذاك ما يقارب من العشرين على الأكثر ، لأن الرواة مجمعون على القول أن النابغة أعجب بشعره وهو غلام بعد ، والنابغة من جيل النعمان .

استخلصنا أن ولادة لبيدا لا يمكن أن تتقدم سنة ٥٦٠ م ، فيكون شاعرنا والحالة هذه من المصمرين حقا ، ولكنه لم يكد يتجاوز المائة . وقد فحص البستاني بعض هذه الروايات ، فرفض الروايات القائلة أنه عاش مائة وخمسا وأربعين سنة ، والروايات القائلة بأنه عاش مائة وسبعة وخمسين عاما ، وقال : إن شاعرنا مات أول خلافة معاوية سنة ٤٠ - ٤١ هـ - ٦٦٠ - ٦٦١ م .

فرواية البستاني على هذا الزعم تذهب إلى أنه ولد سنة ٥٦٠ م ، وتوفي سنة ٦٦١ م ، في أول خلافة معاوية ، فيكون قد عاش مائة سنة أو مائة وسنة ، إلا أن البستاني لم يثبت لنا الصلة بين النابغة الذبياني والنعمان ، وخصوصا أن هناك رواية تقول : إن النابغة اتصل بالمنذر ابن امرئ القيس الثالث بن الأسود بن المنذر الأول ٥٠٥ - ٥٤٥ م . (١)

الاتصال

بيد أن شعره - أي النابغة - ليس فيه ما يدل على هذا الاتصال .

وأن اتصاله الفعلي كان بالنعمان بن المنذر بن أبي قابوس ، حيث
كان مشهورا بمحبته للأدب والشعر ، وكان طيلة مدة حكمه التي استمرت
حوالي اثنين وعشرين عاما خير راع للشعر والشعراء ، إذ وفد عليه
النابغة ، وكان أثيرا مقدما عنده لا يعدل به شاعرا سواه ، وما يؤيد
ذلك قول النابغة مستذرا له :

أنبت أن أبا قابوس أوعدني •• ولا فرار على زار من الأسد

على أننا إذا أخذنا بمين الاعتبار بيت لبيد الصريح الذي يقول :

أليس في مائة عاشها رجل •• وفي تكامل عشر بعدها عمر

وتركنا الأبيات القائلة في ^{تعدد} عمره وهو ابن عشرين ومائة سنة

أو ابن الأربعين ومائة سنة كما يروى ، فيمكن أن يكون لبيد قيد

أدركه عشرا بعد المائة ، وتكون وفاته أول خلافة معاوية سنة ٤١ هـ المقابل

لسنة ٦٦١ م ، وتكون ولادته سنة ٥١٠ هـ على وجه التقريب ، ويكون قيد

عاش ستين عاما في الاسلام ••• وإذا علمنا أن لبيدا دخل الاسلام

في العام التاسع للهجرة سنة ٦٣٠ م ، يكون قد عاش وهو مسلم واحدا

وثلاثين عاما وليس أربعين ولا خمسة وأربعين •

الفصل الثاني

حياء الشاعر ونشأته

=====

التمريض : —

.....

هو لييد بن ربيعة العامري ويكنى " أبا عقيل " ، وقد ذكره
أبو الفرج الأصفهاني نسبة فقال : " هو لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر
ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر " (١)

وأورد أبو زكريا — يحيى بن علي بن محمد الشيباني — المعروف
بالخطيب التبريزي نسبة فقال : " هو لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر
ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر بن الياس بن حميد بن عدنان " (٢)
ونلاحظ هنا أن التبريزي زاد على رواية الأصفهاني " الياس " ،
وهذا ليس مهما بقدر ما تهنا سيرة الرجل وأثاره ، وكان والده معروف
بربيعة المقترين ، دلالة على كرمه وجوده ، وتعتبر هذه الخصال
من أهم خصال العرب وأحبها إليهم ، وقد لقبه لييد بهذا اللقب
في قوله :

ولا من ربيع المقترين رزئت — . . . بذى علق فلقى حياك واصبرى

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٩٠ - ٢٩١ الأصفهاني .

(٢) القصائد المعروفة ص ١٥

وقد قُتل بنو " لبيد " في الحرب التي كانت بينهم كما يذكر
 أبو الفرج الأصفهاني (١) ، على أنه لم يرد لبني لبيد ذكر ، ولعل الخبر
 الصحيح بنو أسد كما ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء إذ قال : " وقُتل
 بنو أسد في حرب " ، ويقال : " قُتل محمد بن طرفة الأسدي " ، ويقال :
 " قُتل صامت بن الأفقم من بني الصبيداء " ، ويقال : " ضربه خالد
 ابن فضالة " ، وتم عليه هذا وأدركه بشاره ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب
 أخوه وذلك أنه قُتل قاتله ، وفي رواية أخرى أن الذي قُتل بن طرفة
 الأسدي يوم ذي علق وليد لا يتجاوز التاسعة .
 وكان عمه أبو براء عامر بن مالك يلقب بـ " ملاعب الأسياسة " .
 وذلك لقول ابن حجر فيه :

ملاعب أطراف تالأسنة عامر . . ضراح لها خط الكنية أجمع
 ولقب عمه معاوية بـ " محمود الحكماء " ، وذلك لقوله :
 أعود مثلها الحكماء بمحدي . . إذا ما الحق في الأشياء نابا (٢)
 وكان عمه عبيد بن مالك يلقب بـ " الوضاح " ، وعمه سلمى بن مالك
 يلقب بـ " نزال المضيق " .

فصحن نرى أن له أعماما أربعة ، وأم هؤلاء جميعا هي : " مينة
 بنت رباح الفنوية " ، ويقال أنها ليست بهذه بل هي : " ليلى بغت
 عمرو بن عامر فارس الضحيا " (٣) والتي لقبها لبيد في أرجوزته " أم الهنين

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٩٠ - ٢٩١

(٢) الأصمعيات ص ١١٢

(٣) ديوان لبيد ص ١٢ دار صادر بيروت .

الأربعة " ، ، وإلى هؤلاء يشير في أرجوزته :

يارب هيجا هي خير من ^{دعه} ~~دعه~~ . . . في كل يوم هاتق مقزعة
نحن بنو أم البنين الأربعة . . . نحن خير عامر بن صمصمة
والواقع أن هؤلاء خمسة وليسوا أربعة ، وهم عامر بن مالك
ملاعب الأُسنة ، والطغيلة فارس قرزل ، وسامي نزال المضيقي ، ومعاوية
محمود الحكماء ، وربيعة المقترين والد لبيد ، ولكن قافية الرجز ألزمته ذلك ،
أو لأن أباه كان ميتا ، فأسقطه .

أفأ آلت لها عينا سجايا الجود والطباع العسنة عن والده ،
رجبل على الشجاعة والمروءة التي جبل عليها عمه أبو براء ، كما ورث الحنكة
والدهاء عن عمه معاوية ، هذا . . . وقد استطاع الرجل بما له من فطنة
وذكاء متقد أن يصهرها جميعا في بوتقة واحدة وينفيسها في شخصيته ، فكانت
شخصية متكاملة جمعت كل خصال العرب شجاعة وأقدام ومروءة وكرم وحلم . . .

وتغلبت البيئة وخصبها وجذبها في بعض السنين جعلت منه
جوادا كريما مضيافا يهلك ماله في قرى الأضياف ، وهو الذي آلا على نفسه
أن يطعم كلما هبت العيا ، فقد لازمه هذه العادة في الجاهلية والإسلام .
أما أمه فهي : تامر بنت زنياع بن جزيمة بن رواحة بن مازن
ابن الحارث بن قطيعة العبسية ^(٢) ، وكانت يتيمة في حجر الربيع بن زياد
الذي هجاه الشاعر أبيد في مجلس النعمان ، وكانت قد تزوجت من قيس
ابن جزء بن خالد بن جعفر ، فولدت له أريد ، ثم تزوجت من بعده ربيعة

(١) التصانيد المشرفة ص ١٥

(٢) الشعر والشعراء ص ٨٨ ابن قتيبة .

والد ابيد ، لذا فاريد أخوه لأمه وكان أكبر سنا منه .

واريد هذا هو الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مع عدو الله عامر بن الطفيل في وفد من بني عامر لمقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوصلوا المدينة في جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة ،

وقد تواضع مع عامر بن الطفيل على الغدر بالرسول كما يذكر ابن قتيبة ، وهذا وقد نفى كارل بروكلمان هذا حيث قال : " وليس بصحيح ما روى من أنه أي

عامر بن الطفيل اتفق مع اريد أخى ابيد وكان واقفا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، وقد ذكر المبرد هذه الحادثة فقال : " وقد وفد عامر

ابن الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصحه اريد أخى ابيد لأمه ، فقال لا اريد : " أنا أشغله لك وأضربه أنت بالسيف من ورائه ، فدعاه الرسول الكريم

للاسلام على أن يجعل له أمانة الخيل فقال عامر : ومن يضمها اليوم عنى ؟ ولكن ان شئت فلك المدرولى الوبر أو لى المدر ولك الوبر ، فأعرض عنه

الرسول الكريم ، فقال : فاجعل لى هذا الأمر بحدك ، فأعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك ليس بكائن ، فقال : ^{فأسبر} فأسبر بخيل أولها عندك وآخرها

عندى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^{بأن} يلبى الله ذلك ^{بأن} بنا قليلة يعنى الأوس والخزرج ، ويروى أن سعد بن عبادة قال : يا رسول الله علام

يسحب هذا الأعرابى لسانه عليك دعنى أقتله ، ويروى أن عامرا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا غزوناك على ألف أشقر وألف شقراء ، قال : الرسول

صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفنيهما " ، وتروى قيس أنه قال : اللهم ان

علاقته بمهاصره في الجاهلية والاسلام وصدى ذلك في اتجاهاته :

.....

يعد لبيد من المصمرين الذين عاشوا دهرًا طويلًا وجاهة قـد
 حاصها وملها ، وخلال هذه المرحلة الزمنية والتي نأت بكل كلم عليه فـي
 أخريات أيامه ، وخلال أجناسا مجنسة من البشر ، وعاش أناسا كثيرين ، قد
 أثر فيهم وتأثر بهم ، وقد أكتسبه هذه المرحلة خبرة ودراية وممارسة
 لم تتوفر لغيره ، فكان يتمتع بجانب كبير من الأخلاق والشهامة ، وقـد
 أشى عليه كل من كتب عنه من القدامى والمتأخرين ، وصفه أبو الفج : " من
 أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القراء المصمرين (١) ، وكان خير شاعر
 عز أهله وبرع شهرته ، فهو الذي كان يمدحهم ^{بمدحهم} ويذكر مآثرهم ويرثى قتلهم
 ويفخر الناس بما لهم من سؤدد ومجد ، وقد بلغ به الكم أن صار يطعم مائة
 الصبا ، دأب على ذلك في جاهليته واسلامه ، وذكر القرشي : " وكان لبيد
 جوادا كريما شريفا في الجاهلية والاسلام وكان قد آلا في الجاهلية أن يطعم
 مائة الصبا ثم أدام ذلك في اسلامه ، ونزل لبيد في الكوفة وأميرها يوم
 ذلك الوليد بن عقبة ، فبينما هو يخطب الناس اذ هبت الهملا من ناحية
 الشرق الى الشمال ، فقال الوليد في خطبته على العبر : " قد علمتم حال
 أخيكم أبي عقيل وما جعله على نفسه أن يطعم مائة الصبا وقد هبت رحمها
 فأعينوه وأنا أول من ينهل ثم انصرف الوليد ، فبكك اليه بماك من الرجـز
 واعتذر اليه قائلا :

أرى الجزار يشخذ شفرتيه . . . اذا هبت رياح أبي عقيل
 أشم الأنف أعيد عامري . . . طويل الباع كالسيف الصقيل
 وفي ابن الجعفرى بحلفتيه . . . على الفلات والمال القليل
 ينحصر الكرم اذا صحبت اليه . . . ذيول صبا تجاذب الأصيل (١)
 ويروى المبرد " تشخذ مديتاه " ، وفي ابن الجعفرى بما لديه " (٢)

فلما بلغت أبياته ليديا قال : " جزى الله الأمير خيرا " ، وأمر
 ابنته بأن تخرج وتجيب الأمير ، فخرجت - خماسية - فقال لها : أجيبى
 الأمير فلهمري قد عشت برهة وما أحيأ بجواب شاعر ، فأقبلت وأدبرت ، وفي
 ذلك تقول ابنته :

اذا هبت رياح أبي عقيل . . . دعونا عند هبتها الوليدا
 طويل الباع أبيض عجميا . . . أعان على مروءته لبيدا
 بأمثال الخطاب كأن ركبنا . . . عليها من بنى هام كهودا
 أيا وهب جزاك الله خيرا . . . نحرناها وأطهنا الثريدا
 فهذا ان الكريم له معاد . . . وطني باين أروى أن يهودا

قال لها لبيد : " أحسنت يا ابنتي لولا انك سألت " فقالت : " ان الملوك
 لا يستحي من مسألتهم " فقال لها : وأنت في هذا أشعر " (٣)

ويرى كذلك أن الصبا هبت زمن المظيرة بن شعبة فدعا الناس أن
 يهينوا لبيدا على مروءته (٤) ، وكان المظيرة آنذاك واليا لعمربن الخطيب

(١) جمهرة لشعار العرب ص ٣١ - ٣٢ القرشي .

(٢) الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٥٣

(٣) المرجع السابق ص ٥٢ - ٥٣

(٤) طبقات الشعراء محمد بن ساد

على الكوفة ، ويبدو أنه دعا إلى اخانة لبيد ، ولم يفعله هو ، ويصلح الدكتور
 طه حسين ذلك بأن المخيرة كان ثقيفا حريصا على المال ولأنه كان واليا
 لصمر بن الخطاب (١) ، أما الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن
 أمية بن عبد شمس بن مناف كان أخ عثمان لأمه ، وأمهما هي أروى ابنة
 كرز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس ، وأم أروى " البينراء " بنت عبد المطلبية ،
 فقد كان أميرا من أمراء قريش وواليا على الكوفة لعثمان بن عفان ، وكان سخيا
 يغلو في السخاء والكرم والجود ويحفظ بكثير من السنة الجاهلية ، وكان غنيا
 فيهم الشروة ، وقد رأينا أنه ساعد لبيدا يوم عباه . الخ .

ابيد أول من أطلق لقب أمير المؤمنين على عمر بن الخطاب :

لما فرغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من توجيه المسلمين الى سياسته ،
 جلس في المسجد وقرأ القرآن لهؤلاء أن ينفذوها ، وأقبل عليه أبو عبيدة الثقفي
 يورعه ^{لبي} يسير إلى العراق في ^{الذي} اجتمع حول ^{الذي} وأقبل في أثره
 عدد من الناس غير قليل ، وتكلم يجهون خليفة رسول الله ، وقد وجدوا هذا
 اللقب رغم ترددهم له ، ثبيل النطق وثقيلاً على الصبح ، فذهبوا يتحدثون فيما
 اختلجت به نفوسهم ، وأنهم لكذ لك اذ أقبل أحدهم " يهني عمر ويقول : " سلام
 الله عليك يا أمير المؤمنين " ، وكان القادم لبيد بن ربيعة وصحبته عدى بسن
 حاتم .. هذا وقد روى ابن عساکر (٦) :

(١) ان المفيرة بن شعبة هو أول من دعاه بهذا اللقب .

(١) حديث الأربعاء ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ ط ٠ التلخيص ٠

(۶) تاریخ دمشق ابن عساکر •

٢) ان عسكرت ب الى عامه بالعراق ان ابعت الى رجلين جلدتين بيبالين اسألها
عن امر الناس ، فحدث البيد بن ربيعة وعدي بن هاتم ، فلما بلغا المدينة أناخا
أهلها
في عسكرهما ببناء المسجد ، ثم دخل ، فاستقبلا عمرو بن العاص فقالا : " استأؤم
لنا على أمير المؤمنين " فقال عمرو : فدخلت على عمر فقلت : " يا أمير المؤمنين
بعت عامل العراق بلبيد بن ربيعة وعدي بن هاتم . فقال : استأذن لنا على
أمير المؤمنين ، فقلت : انتما والله أصبهما ، هو للأمير ونحن المؤمنون " . فبقي
هكذا اللقب لعمر من ذلك اليوم وجرى الكتاب به . . . وان توارد ذلك في روائس
يؤكد ان ابدا هو أول من أطلق لقب أمير المؤمنين .

وَمَدَّ أَنْ آمَنَ لِبَيْدٍ بِمَا جَاءَ بِهِ أَفْضَلَ الْخُلُقِ مِنْ هِدَايَةِ وَصُورِ

هذب الاسلام من غلوائه وهد من تصببته ، فكف على القرآن الكريم يتفهمه
 و ^{حفظه} فكف عن صنعة الفخر والهجاء ، للأثر العميق الذي تركه الدين في

نفسه ، و اذا كان لبید لم یفخر بقومه فی الاسلام نانه لا یتجاهل سیرتهم و ذکرتهم
و کان یتصدی لمن اراد ان یشلب أعراسهم و ینقل حقهم و یدافع عنهم ، و یفخر
بهم فی بعض الأحيان .

فَقَدْ رَوَى الْمُرَوِّاتُ ، قَالُوا : لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِيهِ فُضِّلَ فِي الْأَسْلَامِ غَيْرَ يَوْمٍ
وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي رَهْبَةٍ غَنَى مُسْتَلْقِيًا عَلَى طَرَفِهِ وَقَدْ سَجَى نَفْسَهُ بِثَوْبِهِ إِذَا
أَقْبَلَ سَابَّ مِنْ غَنَى فَتَالَ : تَبِعَ اللَّهُ طَائِفًا حَيْثُ يَقُولُ :

جزی اللہ عنا جعفر اچھا ازلت ۰۰ بنا نعلما فی الواطین فزلت

أَبَوْا أَنْ يَمْلِكُوا وَلَوْ أَنَّ آمَنَّا

هم خاطبونا بالنفوس والجوارح . إلى حجرات ادعائنا والظلمة والظلمة

ليت شمري ما الذي رأى في منى جعفر حيث يقول هذا فيهم ٢٠٠ قالوا:

فكشفه لبيد الثوب عن وجهه وقال : يا ابن أخي انك أدركت الناس وقد جعلت لهم

شرطة يدعون بمصهم على بعضي ، ودأروني يخرج الخادم بجرابها فتأتي برزق

أهلها وببيت مال ياخفون منه أعطيتهم ولو أدركت طفلا يوم يقول لم تلمه " ، ثم

استلق وهو يقول : " استغفر الله " فلم يزل يقولها حتى نام . (١)

الآن هذه ليست الحادثة الأولى التي يرد فيها على المتكولين ومناخرة

الحاسدين من الناس ، فقد حضر لبيد يوما مجلسا من مجالس الوليد بن عقبة

أمير الكوفة ، فقال الوليد لبيدا عما كان بينه وبين الربيع بن زياد عند النعمان

فأجاب لبيد بقول ينم عن شعوره بأن العهد الجديد لا يرتضى كثيرا من لسان

الجاهلية وعاداتها من فخر وهجاء فقال : هذا كان من أمر الجاهلية ، وقد جاء

الله بلا سلام .

فأجابه الوليد وعزم عليه وكانوا يرون لعزمة الأمير حقا

فسأروا حدهم فحده رجل من غي ولتذكر أن الرجل الأول ، الذي حده من غي

فقال : " ما علمنا بهذا " ، فقال لبيد : أجل يا ابن أخي لم يدرك أبوه هذا

وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيجدك . (٢)

والواقع أن قول لبيد فيه كثير من القسوة والتحقير وفيه أيضا كثير من

الفخر بجالس النعمان وإن اضطره الموقف إلى ذلك .

هذا ويبدو أن لبيدا كان يتمتع بأخلاق حسنة وشماثل كريمة ،

وسمعة طيبة بين الناس ، مما جعله مراب الجانب من السيرة ، جعلت بنى

الديان يردون عليه جارية - ففى يوم فغى الريح - وكان عند مبعث النبى
صلى الله عليه وسلم ، أغارت جهائل مذحج وخثعم ومراد وزيد بقيادة ذى
القعدة الحصين بن زيد الحارثى دلى بنى عامر ، وكان رئيس عامر - ملاعب
الأسنة - فقتل من الفريقين عدد كبير ، وأبلى ملاعب الأسنة يومئذ بلاء حسنا ،
وفى ذلك اليوم أخذت جارية سوداء للبيد أخذها بنو الديان ، فلما علموا
أنها له ردوها عليه ، وهو لا يدري من ردها فقال :

يَبْشُرُ بَشْرِي أَيَادِيكُمْ . . . أَدَى أَرِيكَ يَوْمَ هَهَبَ الْبُشْرُ
يَتَرَادَفُ الْوَلَدَانِ خَوْقَ فَقَارِهَا . . . بَشْرُ الْبَرْدَانِ إِلَى أَسْنَةِ هَهْرٍ
جَاءَتْ عَلَى قَتْبٍ رَعْدَلِ مَزَادِ قَتْبَةٍ . . . وَأَرْحَتُهُمَا مِنْ عِلَاجِ الْأَيْصَرِ (١)

وأرى أنه لعلهم اليوم الجارية •

وقد ذكر إبيد بنى الديان هؤلاء فقال :

وَيَسِّرْ لَنَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
وَيَسِّرْ لَنَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(۱) الذیوان ۸ دار صمدیہ بیروت •

(٦) التفاضل ١٤ ٩٥٠

مواقف من حياته

====

١- في الجاهلية :

تكتنف حياة لبيد قبل الاسلام كثير من الغموض ، ويخالطهم الالتباس بينه وبين لبيد آخر ، وهذا يرجع الى أن النصوص القديمة تتخللها أحداث موضوعة لا تخلو من التخيل والافتعال ، كما أن بعض النصوص لا يصدقونه خبرا عن مكرمة أو مهاجاته لأعدائه وأعداء قومه أو افتخاره بنفسه أو بهم ، وعلى الرغم من أنه قضى فترة من عمره في الجاهلية ، فإن الرواة لم يرووا الا نذرا يسيرا من أحداثه ومواقفه .

وسنعمل جاهدين أن نعرض هذا النذر ونستقري منها أخباره من اطار ما تبقى من أشعاره .

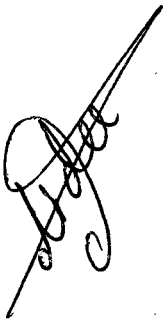
حديث بغير مضمونة

.....

كان لبيد من أسرة لها مكانتها في الجاهلية والاسلام ، فوالده ربيعة كان كريما سخيا حتى سمي - ربيعة المقترين - وعنه أبو براء فارس من الفرسان العرب الممدودين حتى عرف بـ ملاعب الاسنة - وكان عامر قد قدم على المدينة بعد معركة أحد سنة ٦٢٥ م ، واصطحب معه فرسين وراجلتين هدية للرسول الكريم ، ويقال أن الرسول صلى الله عليه وسلم

لم يقبل هديته وردّها متلطفاً ، وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعا اليه ، فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال : " يا محمد لو بهشت رجلاً من اصحابي الى اهل نجد ، يدعوهم الى امرك رجوت أن يستجيبوا له " فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " اني أخشى عليهم اهل نجد " قال عامر : " أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك " فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المصطلق في أربعين رجلاً ومقال سبعين من أصحابه في خيرة المسلمين ، فساروا حتى وصلوا بئر معونة وهو أرض بني عامر وجدة بني سليم وكلا البلدين منها قريب ، فلما نزلوها أرسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه فلم ينظر في كتابه حتى سطا على الرجل وقلاه ، ثم استصرخ عليهم بني عامر فرفضوا أن يجيبوه الى مآذعهم اليه وقالوا له : " لن تحضر أبابراً وقد عقد لهم عقداً وجواراً " فاستصرخ عليهم قبائل من سليم من عصية ورفل ونكولان فابوا طلبه ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما شاهدوهم أخذوا سيوفهم ليدافعوا عن أرواحهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله ، ثم قتل عمرو بن أمية اثنين من الهاميين ثأراً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الهاميين أنفسهم لم يشتركوا في قتل المسلمين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لعمرو بن أمية : " لقد قتلت رجلين لا دينهما " (١)

(١) السيرة النبوية ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٦ ابن هشام .



(٣٩)

يا عامر بن مالك يا
أهلكت عماراً وأعشت عماراً .. (١)

من خطط الرواة (يوم حليلة)

.....

كان لبيد شاعراً فارساً ، آلت إليه الغروبية من عمه أبي براء عامر
الملقب بـ بطلان الأسنة - إلى جانب ذلك فإنه احتل مكانة رفيعة ومنزلة
وقورة في نفوس الكتاب والرواة ، فقد أثنى عليه كل من كتب عنه ، كابن سلام
في طبقاته ، وابن رشيقي في عمدته ، وغيرهما ، وقد أجمع هؤلاء على شجاعته
ومروءته ، ومن أحداث الجاهلية ، أن الهداء كان مستحكما بين أمراء غسان
وأمراء الحيرة اللخمين ، وقد وجه الحارث الغساني إلى الحيرة فارساً
مقدماً ، هو لبيد بن عمرو الغساني على رأس جيش لا خيال المنذر بن المنذر
إبن ماء السماء ، وقد وجدت شهامة لبيد الشاعر وفروسيته في نفس
الباحثين مجالا لتصديق كل ما يروى عنه ، وتصادف أن الفارس الغساني
كان سمي صاعبنا ، فنسبوا عمل الفارس الغساني للشاعر لبيد عن غير قصد
ودون أن يدرك هؤلاء الفرق بين الفارسين سنين طويلة ، وأن صاحبنا
لبيد لم يتصل إطلاقاً بالمنذر بن المنذر بن ماء السماء والذي يقال أن والده
المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء هو صاحب يوصي النعمان والهوس وأخوه
هو عمرو بن المنذر وحادثته مع عمرو بن كلثوم مشهورة (٢) ولكن اتصالة

(١) ديوان لبيد ص ٢٠٥ دار صادر بيروت .

(٢) الحرب قبل الاسلام ص ٢٢٨ - ٢٢٩ جورجى زيدان .

الأكيد بالله مان بن المنذر الملقب بأبي قابوس صديق النابغة والذي وقد عليه
الطغر كما سيأتي ، وقد حدث هذا الودع للقداشي كابون قتيبة ، وأخذ عنه
البفهادي في خزانته اعجابا بلبيد الفارس الشاعر فأخذوا الحادثة دون
تمحيص وروية وتعمق ، والبعض الآخر منهم تطرق الى ذكر الحادثة أو لمسها
لمسا خفيفا وسريعا دون أن يتعمقها ويقف على جذورها صغفيلين اسم الفارس
الكامل واكتفوا بقولهم لبليد دون ذكر اسم أبيه .

وقد أخذ المتأخرون عن الأقدمين دون تأكد وترو كما فمــــل
الفلاسي (١) والشنقيطي (٢) وأصحاب تاريخ العرب (٣) ولم يفلن الى هذه
الحقيقة الا محمد بهجت في مجلة الزهراء (٤) .

وقد فات الباحثين أن الشاعر لبليد نفسه لم يذكر في شعره أية
إشارة تشير الى هذه الحادثة ، انه لو كانت صحيحة لجا^{صحيحة} ذكرها في شعره ،
أو تحدث عنها فيما كان يتحدث في الاسلام ان مثل هذه الحادثة حدثت لهم
في حياة الرجال ، وحالة من هفوات شعرها ، فغير محقول أن يفوت مثل هذا
الحادث دون أن يذكره الشاعر أو يتطرق اليه ولو بطريقة عادية ، الى جانب
ذلك فالحادثة في حرزاتها مدعاة للفخر والاعتزاز - وقد ساهم في هذا
الرأي شاعرنا نفسه - فلم يضرب في شعره ^{الجاهل} الجاهل أو الاسلامي ما يدل على

(١) شرح المعلقات المشقة ص ١٦٠ - ١٦١

(٢) المرجع السابق .

(٣) تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٦ د . فيليب خفي وجبرائيل عبور وأرولا جرجي .

(٤) مجلة الزهراء ج ٤ ص ٢٧٥ محمد بهجت .

هذه الحادثة المصطنعة ..

ولا ضير بعد هذا أن نذكر نص الخبر الأول الذي جاء به ابن قتيبة حيث قال بعد أن تحدث عن لبيد : " وكان الحارث بن شكر الفســــــــــــــــاني وهو الأعرج ، وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمره عليــــــــــــــــهم " أي لبيد " فساروا إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم داخلون في طاعته فلما تمكنوا منه قتلوه ، وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتى ملكه غسان فأخبره ، فحمل النسائيون على عسكر المنذر فهزموهم وهو يوم خليفة ، وخليفة هذه بنت ملك غسان ، وكانت طبيعت هؤلاء الفتيان وأبستهم الأكفان ويرمن الأضريح . (١)

ونردف هنا خبر أصحاب تاريخ العرب حيث قالوا : " ووفد بعض شعراء الجاهلية إلى أمراء غسان فأحسن هؤلاء وفادتهم بها انضوا في أكرامهم ومنهم لبيد أحدث أصحاب المملكات السبع سنا ، ولقد قاتل إلى جانب غسان يوم خليفة " .

وأوردت بعض المصادر أن الذي اغتيل هو المنذر بن ماء السماء ، وهذا وهم وإهم ، وإنما قتل المنذر بن ماء السماء يوم أباغ من أيام العرب بين الغساسنة والمناذرة ، وأما الذي اغتيل هو المنذر بن ماء الســــــــــــــــماء على يد لبيد بن عمرو النسائي ورجاله . (٢)

ومن هنا فأننا نستبعد هذه الحادثة ، وننفي أن تكون قد حصلت

مع شاعرنا وبالتالي فهو برى من دم المنذر هذا .

(١) الشعر والشعراء ص ٨٨ ابن قتيبة .

(٢) الكامل في التاريخ ص ١٤٧ ابن الأثير .

فى حضرة النعمان

.....

ماتناقلته الرواة من حياة لبيد قبل ظهور الاسلام ، موثق من الربيع
ابن زياد ومهاجراته اياه فى حضرة النعمان وهو مازال حدثا صغيرا ، وكلن
لهذا الحدث أثر هام فى حياته وفى شعره .
أما فيما يختص بحياته ، فقد ارتفعت مكانته وعل شأنه وأصبح لسان
قومه الذ اكرامهم والمدافع عنهم فقد احتل مكانة مرموقة بين قومه وهو مازال
فى مقتبل العمر .

أما أثره فى شعره : فان ما أنشأه فى هذه المناسبة عدا كونه يمثل
المرحلة الأولى فى شعره وصور أسلوبه فى الفخر والمهجاء ، يعتبر نقلة فى
شعره فى فترة كان مستهينا بنفسه وشعره الى حالة صار فيها محتزا بما يقوله
ويلاقى اهتماما به ، ومما يذكر انه كثير ما كان يقول الشعر ولكنه لم يعمل على
نشره بين الناس حتى قال معلقته وهاءك مطلعها :

عفت الديار محلها فقامها . . . بطنى تلهد غولها فرجامها

وذكر ما وقع بيده وبين الربيع بن زياد العبسى وحمزة بن حمزة وحينئذ
قال لقومه أظهروها (١) ، وليس صحيحا من أنه كان لسان قومه قبل وفوده
على النعمان (٢) ، فاذا كانت هذه الرواية سليمة ، فانها تؤرخ الفترة التى
قيلت فيها أى فى عهد الصبا وأول الشباب وهذا أمر نستبعد .

(١) الأغاني ج ١ ص ٢٩٣ الأصفهاني .

(٢) ديوان لبيد دار صادر بيروت ص ٧

وقد خصص لبيد بعد ذلك كثيرا من أشعاره للدفاع عن عشيرته وأهله ،
وكان كثير الاعتزاز بذلك ويتعمد تكراره في أكثر من مناسبة •

أما الحادثة فقد أوردتها الأصمعي ونقلها الأصماني وأيدها لبيد فسي
شعره •• ومع ذلك نرى الدكتور طه حسين يشير إلى أنه يشك في ذلك أو يحاول
على الأقل التشكيك فيها يقول : " ولست أدري إن كانت القصة كما يصورها الرواة أو لم
تكن ، أم كانت شيئا مقاربا لها ، ولكن القصة على أي حال تدل على أن لبيدا كان
عند العرب صاحب فخر ودفاع عن أحساب قومه ، فنشأ على ذلك وجد فيه منذ
صباه " (١) .

وهذا الزعم ليس غريبا على الدكتور طه حسين ، وهو الذي يتحسس
أو حتى يكاد ينفي كل ما قيل في العصر الجاهلي ، ولكن مثل هذه الآراء وتلك
الباطيل والافتراءات لا تغطي الحقيقة ، ولا تثبط المزيمه ، ما دامت الأدلة تؤيد
شاعرية العرب ، وشاعرنا يعتبر شاهدا وبرهانا على ذلك ، فهو يعتبر من أصحاب
المحلفات التي تدل دلالة قاطعة لا تقبل الشك على فترة ازدهار فيها الشعر العربي
وتعتبر في نفس الوقت امتدادا لعصر زاهر سبقها كان فيها للشعر دولة وصولة •
وكلنا يعرف أن الشيء لا يولد طفرة ، وإنما ينشأ بالتدريج رويدا
رويدا حتى يصل إلى درجة الكمال ، وكذا جاءت محلة صاحبنا لبيد غاية في الجودة
والإتقان والإبداع ، وهذا يعني أنها ألفت في زمن لاحق للوصول الشعر العربي
للقة ودرجة الكمال •

ومهما يكن من أمر الدكتور طه حسين في الوسوسة والشك فهم —
مغال اذا أسر على رضى القصة ، ولكنه مصيب ان كان هناك حادث مشابه
لها .

وربما تكون أخبار لبید مع أعمامه وملائه معهم وتجربته في هجاء
البقرة ، كل ذلك من صنع الرواة ولكن تواردها في شعره يؤكد بشكل قاطع
صحتها ولندع الرواة يصفونها كما صوروها .

قال الأصمعي في رواية : حدثنا الأصمعي قال : " وقد أمر بن
مالك " ملاعب الاسنة " وكان يكنى — أبا برا — في رطب من جعفر ومعه
لبید بن ربيعة ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عم لبید على النعمان ، فوجدوا
عنده الربيع بن زياد الحبسي ، وكان نديما للنعمان مع رجل من تجار
الهام يقال له زرعون بن توفيل ، وكان هذا أدبيا حسن الحديث والنداء ،
فاستخف النعمان فكان اذا أراد أن يخلو الى نفسه ويمار الشراب أرسل في
طلبه ، والى مطيب له والى الربيع بن زياد ، فلما قدم الجعفريون وكانوا
يحضرون الى النعمان لحاجتهم فاذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطمعن
فيهم ، وذكر معايبهم ونقائصهم وكان بينه وبين الجعفريين دغف وعداوة
مرة ، فلم يزل بالنعمان حتى صد عنهم ، فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء ، وقد
كان يكرهم ويقرهم ، فخرجوا غضابا ، ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم
ويعدو بابلهم كل صباح يصعدا ويرعادا ، فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون
أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : " والله لأحفظ لكم متاعا ولا سرحت

لكم بحيرا أو تخبروني فيما أنتم ؟ وكانت أم لبيد في حجر الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك وصدعنا وجهه فقال لبيد : " هل تدرون أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم يقول مضم مؤلم لا يلتفت النعمان اليه بعده أبدا ؟

وتمضى القصة تظهر استمداده على إيجاد حل للمشكلة ، فيستصغرونه ، ثم يختبرونه أن يشتم بقلة كانت أمامه (دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة بالأرض تدعى التربة) ، فيجرب شتمها فيقول : " هذه التربة لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تمر جارا ، عودها ضئيل وفرعها قليل وخيرها قليل أتبع البقول مري وأكثرها فرعا وأشدّها قلعا بادها شاسع وأكلها جائع والمقيم عليها ضائع ، فآلقوا بي أحبا عسى أرده عنكم بتعس وأتركه في أمره في لبس (١) ، وقالوا : نصبح ونرى فيك رأينا ، وقال عامر : " انظروا الى غلامكم هذا فان لا قيمته صاحبها فهو صاحب ، فرمقوه ، فوجدوه وقد ركب رجلا فوق رجل وهو يكدم وسطه حتى أصبحوا ، فقالوا له : " أنت لها حصة " ، فعمدوا اليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابة وألبسوه حلقة ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان . (٢) فوجدوه يتغذى ومعه الربيع بن زياد وهما يأكلان ولا ثالث لهما والمجالس مملوءة بالوفود ، فلما فرغ من الخداء ، أذن للجعفرين فدخلوا عليه وقد كان أمرهم تقارب ، فذكروا الذي جاءوا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع بن زياد ، وقال

(١) آمال المرتضى ج ١ ص ١٩٠ الشريف الرضي .

(٢) الأغاني ج ١ ص ٢٩٣

ليبد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخى أزاره وانتعل نعلاً : أبيت اللعن
أتأذن لي في الكلام ؟ فاذن له فأنشأ أرجوزة نجتزئ منها :

لا تزجر الفتيان عن سوء الرعدة

يارب هيجاً هي خير من دعه

ويقول فيها :

يا واهب المال الجزيل من سـ

ـيوف حتى وجفـان مترعهـ

اليـك جاوزنا بلاداً مسـ

إذا الفـلالة توحشت في المعمعة

يخبرك عن هذا خبير فاسـ

فقال النعمان : ماهو ؟ فقال ليبد : مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه ، فقال
النعمان : ولم ؟ فقال ليبد : ان استه به برص ملامة ، فقال النعمان :
وما على ؟ قال ليبد :

انه يدخل فيها أصبـ

ليدخلها حتى يوارى اشجـ

كأنه يطلب شيئاً ضيـ (١)

مع اختلاف في ترتيب أبيات الأرجوزة ، قالوا : فرفع النعمان يده من الطعام
وقال : خبثت على طعاصي يا غلام ما رأيت كالهم قط ، فأقبل الربيع على النعمان

فقال : " كذب والله ابن الفاعلة ولقد فعلت بأمه كذا •• وكذا •• فقال له لبيد : " فعل ذلك بربيعة بيته ، والقريبة من أهله ••• وان أمي من نساء لم يكن فواعل ماذكرت •

وتضى النعمان حاجة الجعفريين من وثقه وصرفهم ، ومضى الربيع الى أهله فكتب اليه : اني قد عرفت أنه قد وقع في صدرك ما قال لبيد واني لست بارحها حتى تبعث الى من يجردني فيعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال •

فأرسل اليه انك لست صانعا باتقائك مما قال لبيد شيئا ، ولا قادرا على مازلت به الألسن ، فالحق بأهلك ، ثم أرسل الى النعمان بأبيات من الشعر منها :

لئن رحلت جمالي ان لي سعة •• ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
بحيث لو وردن لخم بأجمعها •• لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا
رعى الروائم أضرار البقول بها •• لا مثل رعيكم ملحا وفسويلا
فأثبت بارضك بعدى وأخل متكتا •• مع النطاسي ^{طورا} وابن توفيل
ويذكر بعض الرواة أن النعمان أجابه بالأبيات التالية ، وأغلب

الظن أنها موضوعة :

أرباصيلا

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا •• لا تكثر على ودع عنك الأباطيلا
فقد ذكرت بشيء لست ناسيه •• ماجاورت مصر أهل الشام والنبلا
الى أن يقول :

فالحق بحيث رأيت الأرض واسمة •• فانشر بها الطرف ان عرفها ^{عضا} وان طولا

وكان النعمان يتبدي في ذي الأفاقة ، ولذا نعتقد أن لبيدا
لم يفد عليه مرة واحدة مع قومه ، بل تكررت الوفادة ، وكان لبيد يقف موافق
المفاخرة بين يدي النعمان ويخطب بقوسه في الرمل خطوطاً بمسدد
مفاخره كما كان يفعل الأبطال القروم الغياري حينئذ ، وذلك
يصوره بقوله :

وخضم قيام بالمرء كأنهم •• قروم غياري كل أزهر مصعب
علا المسك والذبياج فوق نحورهم •• ^{فرائس} فراس المسبح بالجمان المثقب
تشرين صحاح البيد كل عشية •• بعوج السراء عند باب محجب (١)
هذا •• وقد أشار لبيد إلى ما كان بينه وبين الربيع بن زياد
في مجلس النعمان فقال :

ربيع لا يسـمـكـ نحوي سائق
فقطـلب الأذـحال والحقائق
إلى أن يقول :

انك شيخ خائن منافق
بالمخزبات ظاهـر مطـالب (٢)

ومما يؤيد هذه القصة بالشكل الذي ذكرناه أولاً أن لبيدا ذكرها

في شعره في أكثر من مجال ، قال :

(١) الديـوان ٨ دار صادر بيروت •

(٢) الأغاني ج ١ ص ٢٩٥

وسفت ربيما بالنساء كأنه •• قريح هيجان يتقى من مخاطر
فأفحمته حتى امتكان كأنه •• قريح سلال يكتف المهي فاتر (١)
ولم يكتف بذلك بل ذكره في معلقته قال :

وكثيرة غريباً وأوها مجهولة •• ترحى نوافلها وتخشي ذاصها
غلب تشذر بالفحول كأنها •• جن الهدى رواسيا أقداصها
أنكرت باطلها ويؤت بحقها •• عندى ولم يفخر على كرامها (٢)

مشيراً بذلك إلى دار النحمان ، والمناظرة التي دارت بينه وبين الربيع بن
زياد المبسى •

هذا •• وقد انحاز إلى جانب الربيع بن زياد ضمرة بن ضمرة بن
جابر بن سادة بن نهشل ، بعد أن رجز به لبید ^{طاوخر} وأفسر عليه نفس صاحبـه
النحمان ، وكان ضميره أبرص ، وكان بنو كلاب قد أسروه في بعض أيامهم
ومنوا عليه بالعتق ، فلما أخذ جانب الربيع قال لبید يرجز به :

يا ضمرياً عبيد بنى كـلاب
يا أيركـلاب علق ببـلاب
تمكوا أسنته من حذر الشراب
يا يولا القـبى فى مـراب
أكان هذا أول الثـواب

(١) الديوان ص ٤ دار صادر بيروت •

(٢) شرح المصالحات السبع : معلقة لبید الزوزنى •

ويقول فيهما :

اني اذا عاقبت ذوق عقاب
بصام مذكر الذباب (١)

وانذرت
لبيد مساندته لعامر بن الطفيل

.....

جاء ذكر لبيد في الأخبار المروية على ألسنة الرواة عن
المشادة العنيفة التي وقعت بين سيدين عظيمين من أشرف
آل عامر : عامر بن الطفيل وعائقة بن علاثة ، وقد كان لبيد كفيـره
من الشمرء الجاهليين ، يدافع عن بني جلدته وعشيرته ، وينافحهم
بهم ويمسجل أيامهم ومواقفهم ومآثرهم ، وقد حدثت مشادة شديدة
بين هذين القومين ، وعظم الضرر وزلقت الأقدام ^{وفلنت} ~~وفلنت~~ الألسنة
وأوشكت أن تسيل السيوف ، وتمهوى على الرقاب ، وينهب قتال
صريح ، فتفاخرا وتنازعا وتبادلا لاذع القول ^{وقاسوا} ~~وقاسوا~~ الكلام ، وأفحشوا
الشتائم وألغن السباب ، ثم وافقا أن يحكما أبا سفيان بن حرب الأموي
القرشي ، فلم يقل بينهما شيئا ، وكره ذلك لهما لهما وحالي عشيرتهما ،
وقال : أنتما كركش ^{انتما كركش} ~~انتما كركش~~ البصير الأديم " ، فقالا : " فأينا البصير ؟
قال : كلاكما بصير " وأبى أن يحكم بينهما . . . فانطلقا إلى أبي جهل

(١) شرح السبع الطوال ص ٥٠٨ ابن الأنباري .

ابن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش ،
ومعد أن يشاء في قريش توجهها إلى غيرها ، فأتيا عبيدة بن حصن بن
حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئا ، فأتيا إلى غيلان بن سلامة الشقي
فردهما إلى حرمة بن الأشمر المزي ، فأبى أن يقول بينهما شيئا .

وانتهى بهما المطاف إلى هدم بن قحطبة ، وكان قد اتفق
الفريقان المتناظران على مائتين من الأبل ، مائة للحكم ومائة لمن يحكم له .
القضاء ، إلا أن الحكم لم يفضل أحدهما على الآخر ، ^{ورفض} ~~وغير~~ ^{أجبر}
التحكيم ، وانما نهر عنهما الأبل فأطعم عنهما الناس (١) .

والى هذه الحكومة يشير أبيد في قوله :

يا ~~هــم~~ ابن الأكرمين منـصـبـا

انك قد وليت حكـمـا مـهـجـبـا

فأهـم ^{فأهـم} فأكـم وصب لأي من تصـبـوا

ان الذي يعملـو عليها تنـزـرتـبا

أخيـرنا عما وأما وأيا

وعامـر خيرهمـا مركـبـا

وعامـر أدنى لقيـم منـسـبـا (٢)

وابيد هنا قد ناصر عامر بن الرظيل لأنه من الأقربين إليه ودفاعه
عنه عن حسب تليد ومكرمة قومية ، في حين أن العطيئة الشاعر قد انحاز إلى

(١) الأغاني ج ١ ص ٥٠ ، مهذب الأغاني ج ٢ ص ٦٨

(٢) المرجع السابق .

علقة وناصره ، وكان انتصار الأجير الذي باع لسانه لولى نعمته ، فاندفع
الخطبة تلبية لرغباته وأطماعه ، وأنهم أنفسهم في هذا الخلافي الذي استحكم
أمره ، وشتان بين الموقنين ، فقال في ذلك ما شاءت له أطماعه أن يقول ،
وأدرك الخطبة الإسلام ، وأراد أن يدرك صاحبه ويكرمه إلا أن الموت
هال بينه وبين ما رغب ، فقال في ذلك أبياتا مشهورة منها هذا البيت :

وما كان بيني وبينك ^{لغيري} سائلا . . . وبين القى إلا ليال تلالل

وقد روى صاحب الأغاني أن هذه القصة ذاع أمرها في الإسلام ،
وتحدثت العرب كما تحدثت عنها في الجاهلية ، ولما سأل عنها عمر بن الخطاب
هم بن قطنه ، أي أن يخبره عنها حفظا لأسرار الناس ، فشكر له عـ^{مر}
له أمانته ووفاءه . (١)

أما لبيد فقد قال في ذلك قصيدة نفكر منها :
لما دعاني عامر لأسببهم . . . أبيت وإن كان ابن عسا ظالما
ويقول :

وانبش من تحت القبور أبوة . . . كراماً هم شذوا على المتماثما
لحببت على أضافهم وحجورهم . . . وليدا وسموني مفيدا وعاصما
بلى : أينا ما كان فبرا لملك . . . فلا زال في الدنيا ملوما ولاثما
وقال أيضا في المناقرة بين عامر وعلقة أرجوزة منسها :

(١) حديث الأربعة جدا في طه حسين .
حديث

يا هـ ———— رما وأنت أهـ ل عدل
 ان ورد الأحـ مـاء قـبـلـى
 والأحـ مـاء
 والأحـ مـاء علقمة بن علاثة ويروى : هل ينزغنى حسبي وفضلى ، بدلا
 من قوله : انى ورد الأحوص ماء قبلى •

ليلى والنابغة الذبياني

.....

ومن مواقف ليلى فى الجاهلية خبر التقائه بالنابغة الذبياني
 على باب النعمان بن المنذر ، فيروى عن رواية عن حماد الراوية (١) ، أن
 النابغة قال عن ليلى وكان حديثا صغيرا مع أعمامه على باب النعمان بن
 المنذر ، فنسب له ، فقال ^{خاطبا} يا هـ : يا غلام ان عينيك لم يـ
 شاعر ، أفتقرض من الشعر شيئا ؟ قال : " نعم ياعم ، قال
 النابغة : فأنشدنى شيئا مما تلتته " ، فأنشده قوله :

ألم تربع على الد من الخوالى ••• لسلامى بالذائب فالقيفال

فقال له : يا غلام أنت أشعر قومك ، زدنى ، فأنشده :

طلل لخولة بالرسيمى قديم ••• فبمما قل فالأنعمين ^{رسيم}

فضرب النابغة يديه على جنبه وقال : اذهب فانت أشعر قيس كلها

أو قال هوانن كلها •

ونلاحظ هنا أثر الافتعال واضح ففى هذا اللقاء ، فقد

يكون النابغة قابل لبيدا وقد يكون أنشده بعضا من شعره ، إلا أن صاحب الأغاني يروى فى نفس الصفحة السابقة رواية أخرى ويسندها ليسندها الى حماد الراوية واي لقيطه وحمام هذا معروف بالتزويد ، وخاصة أن الرواية التى يأتى بها تجعل النابغة يسأل عبد الله بن قتادة عن لبيد وعن أى الحاضرين أشعر ، فيجيبه أن الفتى الذى شهد من أمره كذا وكذا ، فيأمره أن يجلس حتى يخرج لبيد من مجلس النعمان ، وعندما يخرج يسرح النابغة لدعوته ويطلب أن ينشده فينشده ، فيسند تزيده حتى ينشد قوله :

عفت الديار محلها فمقامها * بنى تأيد غولها فرجامها
فيقول له النابغة : " اذهب فأنت أشعر العرب " وهنا يجيب
أن نتأتى ونتروى لتأكد متى أنشد لبيد قصيدته " عفت الديار "
وهى مطلع معلقته التى قالها ولا شك فى فترة لم يكن فيها حدثا
صغيرا على أقل تقدير وأنه قالها بعد أن استقام له عمود الشعر وأصبح
غولا فملا من الفحولة وسار الشعر طوع بنانه .

وأن قصيدته " ألم تريح على الدمن الخواي " فهى من
أجود أشعاره الجاهلية بعد المعلقة ، نذكر أن صاحبنا خرج من
حضرة النعمان ولا بد أنه خرج بعد أن حاجى الربيع بن زياد ، ولندكر
أن القصيدة " المعلقة " تشير الى هذه المهاجرة ، فتى قالها ؟ أيجوز
أنه ارتجلها للنابغة وهو خارج من لدن النعمان ؟ أم أنه تلاها عليه

وهي قديمة لديه وهذا ضرب من المجهال ٥٥ الخ ؟ فالمعلقة قوية مسبوكـة
 الجوانب ، خصبة الصماني ، رصينة الأسلوب ، مما يدفعنا بالقول بأن لبيدا
 قالها في وقت قوي فيه عوده الشرى ، ومثلت شاعريته ، أما قصيدته "اللامية"
 " ألم ترع " فهي خالية من ذكر الربيع بن زياد ، ولا يوجد بها شيء "يومي"
 الى مقابله النعمان والشول بين يديه ، فهل يعقل بعد هذا بأن نقول انه
 أى لبيد قال قصيدتيه السابقتين يوم تلك الزيارة ، وهي كما نعتقد الزيارة
 الأولى له ، بيد أن المنسجم مع طبيعة الأحداث والأشياء أن الرواية الأولى
 قريبة من الواقع ، وأن الرواية الثانية تزيد هذا الجو المسرحي الذي التقى
 النابضة بلبيد ٥٥٥ وفات تحقيق الفرق الزمنى لمر القصيدتين ٥٥٥ وقد
 استصغر هؤلاء أن يكون لبيد أشعر فتى ، بل أرادوا أن يكون أشعر العرب
 وذلك بانشاده المعلقة •

ومن هنا فأننا نستبعد أن يكون لبيد قد أنشد النابضة قصيدتيه
 " المعلقة واللامية " عند باب النعمان كما ادعى هؤلاء وهو ما زال في
 مستقبل عمره يوم وفوده على النعمان مع وفد الجعفريين ، ولكن يجوز أن
 قالها في زيارات طالبة ، وخصوصا أن زيارته تكررت كما أشرنا آنفا ٥٥٥
 وبعد ٥٥٥ فقد استعرضنا أخبار ومواقف لبيد قبيل الاسلام ، وهي
 بدون شك أخبار نادرة وخاصة أنه عاش القسم الأكبر من عمره في زمن الجاهلية
 وأن هذه الأحداث لا تتناسب مع المدة الكبرى التي عاشها لبيد ، ويرجع
 السبب في ذلك الى ضياع القسم الأكبر من أثماره فقدت معظم أخباره •

٢ - مواقفه في الاسلام

=====

لقد كانت الأخبار القليلة التي رويت عن حياة الشاعر ليبدأ قبل
 الاسلام ، تصويره رجلاً كريماً حريصاً على احساب قومه ذاكراً لأمجاد قومه
 باراً بهم ، والأحداث القليلة التي تروى عن حياته ^{بعد} بطلان اسلامه ، تصفه
 كلها رجلاً كريماً صافى الطبع حلو الشمائل معتدل المزاج ، شديد الحورع
 والتقوى باراً بالناس جميعاً ، وقد انصرف عن أكثر ما تصود من حيياة
 الجاهلية مما نهى عنه الاسلام ، ففراة كريماً جواداً ، لأن الاسلام يحسب
 الكرم والجود ، ونراه خاشعاً متواضعاً ، لأن الاسلام يحسب الخشوع
 والتواضع ، ونجده قد انصرف عن الهجاء ، لأن الاسلام يكره التفاخر
 بالاحساب والتنازع باللقاب وثلم أعراض الناس ، أما سنة دخوله الاسلام
 لم يذكرها أحد بالتدقيق فصاحب الأغاني (١) وصاحب الشمل والشمر (٢)
 يجزمان على أن ليبدأ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد
 بني كلاب قبل وفاة أخيه أريد وعامر بن الطفيل ، فأسلم وهاجر
 وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأسلم
 بها ومات بها ، فيكون ذلك سنة ٩ هجرية الموافق ٦٣٠ ميلادية .
 ولعل الراجع من أمر اسلامه أنه أسلم بعد وفاة أخيه أريد
 وعامر بن الطفيل ، وذلك في أواخر سنة ٨ هـ أي أن اسلامه كان قسراً

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٦١

(٢) الشمر والشمر ص ٨٨ ابن قتيبة .

وقت مبكر قبل السنة التاسعة ، ومار يدعو قومه الى الاسلام مما جعله
عرضة لهجاء سراقه بن عوف بن الأحوص ^{ههـ} يقول :

وجئت بدين الصابئين تشوبه ٠٠ بالواج نجد يمزعه في عهد
وكلمة الصابئين ^{الصابئين} ما كان شائعا في ذلك الوقت أنها تطلق على كل من أسلم
وتابع الرسول ٠

ويهنز هذه الرواية أن لبيدا قد رثى أخاه أريد كثيرا فلو كان
مسلم لما آمن في رثاء أخيه على تلك الصورة ، وهناك رواية أخـرى
تقول : " أن لبيدا عندما دخل المدينة ملتصبا دواء لعمه أبي يسرا
فسمع تلاوة القرآن الكريم ، فيكون هذا بعد رجوع عمه من لدن الرسول أي
في أواخر سنة ٨ هـ ، وكلا الروايتين محتملة ، وهذا يعني أن لبيدا
عاش في الاسلام واحدا وثلاثين سنة على الأكثر ، لا أربعين أو خمسين
وأربعين سنة كما يزعم غلاة المؤرخين ٠

وبعد أن أسلم لبيدا امتلأت نفسه بهدى الاسلام ، فزهد وتنسك
ثم هاجر الى الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام فيها منقطعا الى الناس
والخير والتقوى وقد جمع القرآن (١) وانصرف اليه وعد من القراء (٢) ،
ويبدو أنه لم يمد متحمسا لقول الشعر كما كان قبل الاسلام وان لم يتركه
كما زعم معظم الرواة ٠

ويذكر صاحب الاستيعاب أن لبيدا وعلمة بن علاثة من العامريين

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣١ أبو زيد القرشي ٠

(٢) الأغانى ج ١٥ ص ٢٩٩

من المؤلفات قلوبهم (١) ، ويستغرب ويدعو لاتصاؤل أن ترد رواية أن لبيدا
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد من قيس ، لما اشتد الجذب
على مضر بدعوة من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يخاطب الرسول عليه
السلام ، ولم يرو ذلك السكري ونسبها القالي في كتاب البارع لأعرابي
واصله أصوب :

أتيناك ياخير البرية كلها . . . لترحمنا مما لقينا من الأزل
أتيناك والعذراء يدعى لبانها . . . وقد ذهبت أم الصبي عن الطفل
ويقول :

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا . . . سوى الفلهمز ^{واللهير} المهاير الفصل
وليس لنا إلا اليك هوارنا . . . وأين يفر الناس إلا إلى الرسل
فان تدعو بالسτία وبالفغو ترسل إل . . . سماء لنا والأمر يبقى على الأصل
ولم يرد لهذه الرواية ذكر في الروايات التي تناقلت أخبار لبيد ،
لا سيما أن الرواية تزعم أن الوفد من قيس ومنهم لبيد ، وقد يكون هناك لبيد
آخر والخبر كما ذكره الرياشي ، وهو في ديوان شعره من غير رواية أبي سعيد
السكري . (٢)

فاذا صحت هذه الرواية السابقة للبيد ، فيكون في رواية الرياشي
شيء من الزعم ، ويكون اسلام لبيد من جهة ثانية أقدم مما نظن ، وتكون

(١) الإشتياق في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٣٢٧ ابن عبد البر . والسيرة
النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٣ تحقيق طه عبد الرؤوف .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣٢٦ العسقلاني ط ٠ م ٠

وفادته هذه البرة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ، فالأبيات
تدل دلالة واضحة على أنه آمن وصدق بما عند أفضل الكائنات من خبـ
السماء .

أما وفد بني عامر على الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان عام
الوفود فلم يكن فيه لبيد ، لأن لبيدا كان مظافاً لعامر بن الطفيل ومن
ممنه .

وقد روى عبد الملك بن حمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : " أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ . " وكل نعيم لا مهالة زائل
ويعلق ابن عبد البر على ذلك فيقول : " وهو شعر حسن فيه ما يدل على
أنه قاله في الإسلام " . (١)

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٦٤ ابن عبد البر .

هل ترك البيد الشعر في الاسلام ؟

.....

يكاد الرواة ومؤرخو الأدب يجمعون على أن البيد قد هجر الشعر
منذ أن دخل الإيمان قلبه ، ويقولون أنه لم يقل إلا بيتا واحدا ^{اضلعا} اهلفوا
فيه ، ونسبه بعضهم لغيره ، فمنهم من يقول أنه قال :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي .. حتى ليست من الاسلام سريلا

وبروي " اقتسيت " ، وقال بعضهم ان هذا البيت ليس له ، بل هو
لقروة بن نفاثة السلولى (١) ، وقروة هذا هو القائل ، القصيدة المشهورة
التي مطلعها :

الأكل شيء ما خلا الله باطل

علما بأن هذا البيت من قصيدة طويلة هكتات في ديوان البيد ^{فيقضي} ومطلعها
ألا يسألان الله ماذا يحاول .. أنحب ^{فيقضي} أم ضلال وماطل
ومع هذا فالرواة أنفسهم يذكرون في سند عبد الملك بن عمير عن
أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أصدق
كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ^{فيقضي} " .

الأكل شيء ما خلا الله باطل ...

أى أنهم يقولون ان هذا البيت للبيد وليس لقروة كما زعموا ، ويجوز

أن يكون فروة قد ضمن البيت في شعره ، ووضع الرواة هذا البيت مع القصيدة التي أنسجم معناها الديني معه وهذا البيت •

والرواة مع ذلك يذكرون أن لبيدا كان ينشد قريشا شيئا من

شعره فلما وصل الى البيت : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " فقال

عثمان بن مظعون : صدقت ، فقال لبيد : " وكل نعيم لا محالة زائل " ،

فقال عثمان : كذبت ، فلم يدر القوم ما عني ، فأشار بعضهم على لبيد

أن يعيد ، فأعاده ، فصدقه في النصف الأول وكذبه في الآخر ، لأن نعيم

الجنة لا يزول ، فقال لبيد : يامعشر قريش ، ما كان مثل هذا يكون

في مجالسكم ، فقام أبي بن أبي خلف أو ابنه ، فلطم وجه عثمان ،

فقال له قائل : " لقد كنت في منعة من هذا بالأمر " ، فقال :

" ما أحمق مني هذه الصبيحة الى أن يصيبها ما أصاب الأخـ^{المرء}ـرى

في الله " (١) .

وهذا يعني أن الشعر لبيد وللمعمر لم يكن له لما أنشده قريشا ،

ويبدو أن الرواة عندما نقلوا خبر هجر لبيد الشعر أرادوا أن ينسبوا

الشعر الذي وجدوه له الى غيره لتنسجم الرواية ، فقالوا أن البيت

الذي قاله لبيد في الإسلام لم يكن ذلك بل هو قوله :

ما عاتب المرء الكريم نفسه • • والمرء يصلحه الجليس الصالح (٢)

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣٢٦ المسقلاني •

(٢) المرجع السابق ص ٦٥٦ ، الخزانة ج ١ ص ٣٣٧

ويروى "البحر" ، ودعما لهذا الرأي ، ذكر المؤرخون روايات أخرى منها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى النخيلة بن أبي شعبة ، الذي كان واليا له على الكوفة ، يسأله عما أحدثه الشعراء من الشعر في الإسلام ، وأراد عمر رضي الله عنه من وراء ذلك أن يمتحن الشعراء ويسأل عما أحدثوه في الإسلام من الشعر ، فكتب بذلك إلى واليه على الكوفة ، فسأل الأغلب العجلي فقال :

أرجزا تريد أم قصيدا لتد طابت هينا موجودا

ثم أرسل إلى لييد فقال أنشدني فقال : ان شئت مانهني عنـه
 " يعني الجاهلية " ، فقال : أنشدني ماقلت في الإسلام فانطلق فكتب
 سورة البقرة ثم أتى بها فقال : أبدلني الله هذه في الإسلام مـكان
 الشعر (١) ، فكتب النخيلة بذلك إلى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة
 وجعلها في عطاء لييد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة .

فكتب الأغلب إلى عمر يسأله عن الخمسمائة هل هي جزاء طاعة
 وتلبية ماأراد ؟ فرد عليه الخمسمائة وأقر لييدا على ألفين وخمسمائة ، ويبدو
 أن لييدا عرف سر سؤال عمر أو النخيلة ليختبر إيمان الشعراء وتمسكهم بالإسلام
 فأجاب اجابة فيها الكثير من التأديب والفطنة والذكاء .

وتذهب بعض الروايات الأخرى أن عمر سأل لييدا مباشرة دون

وساطة السفيرة فقال يوما : " يا أبا عقيل أنشدني شيئا من شعر ^{سفره} فقال :
 " ما كنت لأتول الشهر بعد أن طمى الله البقرة وآل عمران ^(١) ، وفي
 هذا الصدود قالوا : " لما تولى معاوية أحب أن ينقص الخصمائة التي
 كان عمر قد زادها في عطاء لبيد ، محتجا بأن عطاءه وعطاء الأغلب
 سواء ، وأن الفزدان ^{الفرزدق} يعني الألفين " فما بال العلاءة ؟ فاستتمهله
 لبيد قائلا : إنما أنا هامة اليوم أو غدا فاعدني اسمها فعلى لا أقبضها
 أبدا فتبقى العلاءة والفزدان ، فرق له معاوية وترك عطاءه على حاله ،
 قالوا : مات ولم يقبضها ^(٢) .

وكان الرواة قد ذكروا ذلك حتى تنسجم الرواية القائلــــــــــــة
بأن لبدا ترك الشر بعد اسلامه ، ولنه لم يقل فى الاسلام الا بيتا أو بيتين
والحقيقة كما ستظهر على عكس ذلك .

هذا ما ذهب اليه المتقدمون من المؤرخين والكتاب ، وقد شماسيهم
أكثر من كتب عن لبيد نقلاً عن المتقدمين ، ودون أن يرجعوا الى بعض
شعره الاسلامي ويحللوه ، ودون أن ينتبهوا الى الشعر الذي نقلوه هم
في بعض مخرى الرواية ، وبين يدي الباحث تركت ليست بالهيئة من
شعره الاسلامي .

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣٢٦ ، والشعر والشعراء •

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ٣٠١ ٣٠٢ ٦ والشعر والشعراء ج ٨٩

وقد تنبه أبو عمرو الى أن القصيدة التي منها بيت لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل . . . وكل نصيب لا محالة زائل

فيها ما يدل على أنه قالها في الاسلام وذلك قوله :

وكل امرئ يوما ^{سقط} سيحلم بحيه . . . اذا كشفت عند الاله المحاصل ^(١)

ولو أن النقلة كانوا يردون على أبي عمرو بأن ما قاله لبيد فيه

دلالة على أنه كان يؤمن بالبعث مثل غيره من عقلاء الجاهلية ^{كقوله}

بن ساعدة الأيادي وزيد بن عمرو ، كان ذلك معقولا ، وقد برر ابن

عبد البر قول الذين قالوا : أن لبيدا لم ينظم شعرا منذ دخل الاسلام

قلبه ، بأنهم يريدون شعرا كاملا لا تكميلا لقصيدة سبق نظمها

لها ^(٢) ، وهذا ولا شك اقوا . بأن لبيدا قال شعرا في الاسلام .

وأغلب الظن أنه أعرض عن قول الشعراء في الاسلام فلم يتخذ

صناعة وحرفة أي مهنة ، ولم يكثر من انشاده ، ومال الى تلاوة

القرآن الكريم ، فجاء شعره الاسلامي متضمنا الخير والصلاح ، ففقد

فطن الى ذلك العالم اللغوي أبو عمرو بن الملاء حيث قال : " ما أحد

أحب الى شعرا من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل ، ولا سلامه

والذكره الدين والخير ولكن شعر رحي بزر " ^(٣)

(١) الاصابة ج ٣ ص ٣٢٦ أبو عمرو المستلاني .

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٢٦ ابن عبد البر .

(٣) الموشح ص ٧١ المرزباني .

ويتخذ من ذلك أن لبدا قال الشعر في الاسلام ، ولم يهجره
 كما زعم الكثيرون ، ويرى - كارل بروكلمان - من أن لبدا لم يترك الشعر
 في الاسلام ولم يهجره ، بل كان في نظره شعره مطبوعا بطابع الوحى ،
 " وقيل أن لبدا لم يقل شعرا في الاسلام ولم يهجره ، ، وليس هذا
 بصحيح ، فان كثيرا من شعره مطبوع بطابع الوحى " (١)

هذا وقد ذكر الرواة أنه شك من الدهر حين تطاول به الزمن
 فقالوا أنه حين بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

قامت تشكى الى الموت مجبشة وقد حملت سبعا بعد سبعينا
 فان تزايدى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفا لثمانينا
 وقد مر بنا فى تحقيق عمر لبدا أنه عاش فى الجاهلية ستين عاما
 وخمسين عاما فى الاسلام ، فاذا كان اسلامه فى السنة التاسعة للهجرة ،
 كان شعره هذا الذى يذكر فيه سبعا وسبعين من السنين قد قاله وهو
 مسلم أو على وشك أن يسلم ، فاذا علمنا أنه قال حين بلغ التسعين :
 كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا
 فيكون من الثابت أن هذا الشعر قاله وهو مسلم .

وقد روى صاحب الاصابة أن لبدا أنشد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قصيدة يستعطفه فيها دعوة الله فى استئزال الغيث ويشكو الجد به ،

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١٤٥ كارل بروكلمان .

فالذا صحت هذه الرواية يكون هذا الشعر اسلاميا ، ونستطيع أن نعتبه —
 كافة شعره ، في رثاء أخيه أريد شعرا اسلاميا ، فقد مات أريد واسلم لبيد
 بعد وفاته بقليل وظل يرثيه دهره ، وقد ذكر الرواة أن لبيدا قال شعرا
 قبل أن يموت يحلم فيه ابنتيه كيف تؤديان اليه حقه في الحزن عليه بعد —
 أن يموت ، نذكر منها :

تمنى ابتائى أن يصيبي أبوهما ••• وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
 ونائحتان تندبان بمأقل ••• أخا ثقة لا عين منه ولا أثر
 وفي ابني نزار أسوة ان جزعتما ••• وان تمالا هم تخبرا فيهم الخبر
 وفيمن سواهم من ملوك وسوقة ••• دعائم عرش خانه الدهر فانقصر
 فقوما ، فقولاً بالذي قد علمتما ••• ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر
 وقولا هو المرء الذي لا حليف له ••• أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
 الى الحول ثم اسم السلام عليكما ••• ومن يسلف حولا كاملا قد اعتذر (١)

ويروى : فان هان يوما أن يموت أبوكما ، فلا ••• البيت •

انظر •• كيف علم الشاعر ابنتيه ؟ وكيف أنه رسم لهما ما يجب
 أن تعملاه في الحزن عليه ، فهو لا يريد منهما إلا أن تذكراه بالخير ، بأنه
 لم يخدر ولم يخن حليفا ، وهو يأبى إلا أن يكون معتدلا في هذه الوصية ،
 فلم يكلف ابنتيه مالا طاقة لهما فيه ، فهو يريد أن تذكراه وأن تبكياه حولا
 فإذا ما انتهى الحول فسلام عليهما ، ولا بأس بعد ذلك أن يسدل بينهما

(١) الأغاني ج ١ ص ٢٦٨ ، حديث الأرباء ج ١ ص ٤٨ ط • تاسعة •

ستار النسيان دون لوم . . ومن جميل ما يروى أن ابنتيه كانتا عند وفاته
تلبسان ثيابهما في كل يوم ، ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب فترثيانه
ولا تندبانه ، فاستمرتا على هذه الحالة حولا ثم انصرفتا ^{وجها} معذورتان ،
نهم . . ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر ^{لله} ، ألا أن الرجولة الحق ^{والمرءة} ^{والمرءة}
التامة تلك التي قدمها صاحبنا وهو بين يدي الموت في ساعة احتضاره ، فقد
قال لابن أخيه - ولم يكن له ولد ذكر - : " يا بني أن أباك لم يمت ولكنه
فنى ، فإذا ^{قبض} ^{تغير} أبوك فقبله القبلة وسجده بشويه ولا تصرخن عليه صارخه ،
وانظر جفنتي اللتين كنت ^{أصغرهما} ^{أصغرهما} فاصلعهما ، ثم احملهما إلى المسجد
فإذا سلم الإمام فقدمها إليهم ، فإذا طعموا ، فقل لهم أن يحضر ^{روا}
جنازة أخيهيم ، وأنشد قصيدة نجتزى منها :

كُنْث أَنْ أَبَا حَنِيفَةَ — :. يَفْ لَمْ يَفِي الْإِثْمِينَ
 ابْنِي هَلْ أَحْسَنْتَ أَعَدَّ :. مَا هِيَ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ
 وَأَبَى الَّذِي كَانَ الْأَرَا :. مَلْ فِي الشَّاءِ لَهُ قَطِينَا

ويتول :

وإذا دفنت أبائك فاجـ ••• حل نوقه خشيا وطينا (١)
وأما الدكتور طه حسين (٢)، فيأبى إلا أن يفسد هذه الوصية الجميلة

المؤثرة بطريقته في الشك والافساد محتما على الوهم الذي ذهب اليه

(۱) الأفغانی ج ۱۵ ص ۴۹۷

(٢) حديث الأربعة ج ١ ص ٥٩

ابن سعد في الطبقات حيث ذكر أن لبيدا هاجر إلى الكوفة مع بنيهِ ، فلم يـ
 مات في صحراء بني جعفر عاد بنوه إلى البادية فأقاموا فيها ، مع أن أبا الفرج
 وأصحابه يزعمون أن لبيدا لم يكن له بنون ، والواضح أن ابن سعد ذكر
 كلمة " بنيه " محمدا القول قاصدا بذلك أهله دون أن يتصد تخصيص الأبناء
 دون البنات أو أطفالهم ، ومع ذلك فقد يقع الرجل في الوهم ، والـذي
 يميننا هنا أنه قال شعرا عندما حضرتة النية •

ومهما يبلغ الشك الذي ذهب إليه الدكتور طه حسين في كتابه
 " حديث الأرباء " فلن يستطيع أن يرفض القصيدة كلها بأي حال من
 الأحوال ، فإذا أمكن القول أن بعض أبيات القصيدة أو قسما منها منحول
 موضوع ، فلن نرفض القصيدة كلها ، لتواردنا على السنة الرواة والعلماء ،
 وقد ورد في ديوان لبيدا الأبيات التالية :

ان تقوى ربنا خير نفل •• وماذن الله ريشي وعجل
 أحمد الله فلا ند له •• بيديه الخير ما شاء ^{فعل} ~~فعل~~
 من هداه سبل الخير اهتدي •• ناعم البال ومن شاء ~~أخر~~

ونرى أثر القرآن الكريم في هذه الأبيات واضحا ، فلو لم يكن لبـ
 قد قرأ قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " ، وقوله : " وما تشاؤون ^{تشاءون} إلا أن يشاء
 الله " ، وقوله : " يضل من يشاء ويهدي من يشاء " ، لما استطاع طرق
 هذه الصانتي مصادفة ، فمن الواضح أنه قال قصيدته هذه بعد أن قرأ
 القرآن وتأثر به ، إلا إذا ثبت أنه يحفظ القرآن الكريم ومدركا لمعانيه
 قبل أن يسلم ، وهذا ^{مريب} هرب من المحال •

وقد جاء في الديوان قصيدة مطلعها !
 كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا .. وكانت له خيلا ^{خيلا} على النأي خايلا
 ورد فيها هذا البيت :

رأيت التقي والحمد خير تجارة .. رباحا اذا ما المرء أصبح شاقلا
 والتقى والحمد الفاظ اسلامية ، والبيت يعيد الأذهان الى قوله تعالى :
 " فما ربحت تجارتهم " ، وكذلك قوله بعد هذا البيت :
 وهل هو الا ما ابتنى في حياته .. اذا ما قدنوا فوق الضريح الجنادلا

وهذا مأخوذ من قوله تعالى : " وان ليس للانسان الا ما مضى " .
 أما القصيدة التي ذكرها ^{الرواه} الرواه ، أنها تنسب لغزوة بن نفاثة
 السلولي ومنها البيت المسالف الذكر : " ألا كل شيء ما خلا الله مبهمة .. " .
 ففيها كثير من النحاني الاسلامية ، وهناك بعضها منها :

ألا يسألان المرء ماذا يحاول .. أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

اذا المرء أسرى ليلة ظن أنه .. قضى عملا والمرء ما عاش عامل
 أرى الناس ما يدرون قدر أمورهم .. بلى : كل ذي لب الى الله واصل
 ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. وكل نصيب لا محالة زائل
 وكل أناس سوف تدخل بينهم .. دويهمية تصفر منها الأنامل
 وكل امرئ يوما سيعلم سعيه .. اذا كشفت عند الإله المحاصل (١)

(١) الديوان ص ٢٧ ، طبعة ليدن ، بعناية دوبر وتقديم كارل بروكلمان .

وقد وردت في ديوانه الأبيات التالية :

هــمـد ت الله والله الحميد . . . والله المؤئل والمديد

فان الله نافلة تقـاه . . . ولا يقتالها الا سـعيد

ويروى (ولا يآثالها الا سعيد) " دار صادر بيروت " .

ومعنى هذه الأبيات أن منتفاخر به من محامد ومكارم ليس شيئاً بالنسبة

إلى ما يملكه الله تعالى ، وأن الله يهب التقى لمن يشاء ، ولا يستطيع أن يحوز

هذه التقوى إلا سعيد ، وهى ممان كلها اسلامية مما يدل على أنه قالها

في ظل الاسلام ، ولننظر في هذه القصيدة التى يستطيع الملاحظ أن يجد

أثر القرآن الكريم الواضح فيها ، وكذلك الآيات القرآنية التى ضمن معناها

في هذا الشعر :

لله نافلة الأجل الأفضل . . . وله الملا وأثيث كل مؤئل

لا يستطيع الناس محو كتابه . . . أنى وليس قضاؤه بمبدل

سوى فألقى دون غرة عرشه . . . سبما طباقا فوق فرع المنفلح

والأرض تحتهم مراداً راسيا . . . ثبتت خوالقها بصم جندل
هو القزع

الماء والنيران من آياته . . . فيهن موعظة لمن لم يجهل

بل كل سميكة باطل الا التقوى . . . فإذا انقضى شىء كان لم يفصل
التم

لو كان شىء خالدا لتواء لت . . . عصماء مؤلفة ضواحي مأسل (١)

وقد أورد الراغب الأصفهاني في محاضراته الأبيات التالية منسوبة

إلى لبيد بن ربيعة :

فواعجبا كيف يعصى الاله .. ثم ألم كيف يججده الجاحد

وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه الواحد

ولله في كل تحريك .. وتسكينة أبدا شاهد

وفي هذا يستطيع المرء أن يتلو اكل بيت منها آيات من الذكر الحكيم

تدل على أن الشاعر تلاها وتمعن منها ثم نظم شعرا فيها :

هنا .. وقد ذكر ^{الطوسي} ~~الدعوى~~ أن لبيدا قال حين ارتحلت بنو جعفر

ونزلت بلاد بني الحارث بن كعب ، وأهل هذه الأبيات تصور أساه علي

فراق بني جعفر الجزيرة حين خرجوا في الفتوحات الإسلامية :

أما يحفظ التقي الأبرار .. وإلى الله يستقر القرار

وإلى الله ترجعون وعند .. الله ورد الأمور والأصدار

وكل شيء أحصى كتابا وعلم .. ولديه تجلت الأسرار

واضح جدا أن هذه الأبيات حافلة بالمعاني الإسلامية ... الخ .

ولننظر في هذا الأبيات التي قالها لبيد بذكر أعمامه وقومه بني جعفر

ابن كلاب ويأسو لفقدهم ، فيقول :

أصبحت أمشي بعد سلمى بن مالك .. ومحمد أبي قيس وعروة كالأجب

ومحمد أبي عمرو وذوي الفضل عامر .. ومحمد المرجى عروة الخير للكرب

ومحمد طفيل ذى الفحال تهافت .. به ذات ظفر لا تورع بالاجب

وأبو قيس هو : عامر بن الطفيل ، ومعنى ذلك أن هذه القصيدة قيلت بعد موت عامر أي أنها من شعره في أول إسلامه ، أو قبيل ذلك بزمان يسير جدا .
ومن هذا المعنى الوجيز للبيد المسلم ، نستطيع أن نقول : أنه كان يقول الشعر ، وأن ما قيل من حجرة الشعر لا يثبت ألم التحديق والبحث ، هذا ماتوه الأولون وصار على دريهم المتأخرون .
ومع ذلك يصح أن نتساءل : لماذا لم يكتب لبيد من شعره إلا ما ؟
ولماذا لم يمدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بعض شعره ؟
من الواضح أن شعره في الإسلام لا يقوم ألم شعره في الجاهلية ، ذلك الشعر الرصين القوي ، وأن لبيدا قد دحش ببلاغة القرآن الكريم وأعجازه ، وانصرف إليه بكل جوارحه واحساسه يحفظه ويكتبه ويتأمله ، وقد انصرف عن الشعر ولم يهجره ، ولم يتخذ حرفة ولا صناعة ، بل أولا به بعض اهتمامه في أوقات متفاوتة مما بقي من حياته ، فلم يجد لبيد الأسباب الطموح الصانع في شعره ، بعد أن تفتحت نفسه للقرآن الكريم ، ولم يكن كذلك العازف المنصرف عن الشعر كلية ، لذلك كله لم يوجد ولم يكتب من هذا الشعر .

ولعله قد رأى فيما رأى أن مكانة الدين ومقام أفضل الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه ، أجل وأسمى من أن يتوصل إليها بالشعر ، يسعى إليها بالزهد والتقوى وصدق الإيمان ، وهو الذي اعتنق شعره في مدح الناس ، فهل يرتفع شعره حتى يجد رمدح الرسول صلى الله عليه

وسلم ؟ وخصوصاً أنه قرأ في القرآن الكريم وصف الشمرء الذي —
يتبعهم الفارون ، وأنهم في كل واد يهيمن ، وأنهم يقولون —
مالاً يفعلون

لعل في ذلك جواباً على ما تقدم .

الباب الثاني

((مبر لبيد))

====

الفصل الأول

=====

مضمون الشعر عنده

((الأفكار - المعاني - الصور والأخيلة))

=====

أما معانيه وأخيلته ، فمن الدقة والغموض ^{المضمون} والروعة بكان كبيـر ،
فهي ذات صلة بالصحراء والأماكن التي ارتادها ، وألوان الحياة ^{الحياة} التي
شهدتها ، وهي ذات صلة وثيقة بنفسه الصافية الكريمة التي ^{تضفي} تنفخ على شعره
كثيراً من الطيبة والوداعة ، ومن عمره الطويل الذي أكسب شعره الخبرة
والفلسفة الهدوية الساذجة من غير تصنع أو تعقيد ، فخياله - كالطبيعة
الهدوية - واسع رحب صاف فيه خصب وجمال .

وقارئ شعره يشعر بكثير من الأمتاع والتلذذ النفسي على ما في
شعره من غرابة الجو البدوي التجديدي البعيد عن دنيا الحضارة والتمدن .
وسنعرض ذلك من خلال استقراء لمؤلفته ، فهي المعلقة
الرابعة بين المملكات السبع ^(١) وهي من البحر الكامل ، وتحتوي على ثمانية
وثمانين بيتاً ، وقيل أنها تسعة وثمانون بيتاً ، ولا شك أنها من أحسن شعره
وأجوده ، ويمكن أن يطمأن إلى أن القصيدة قد وصلت سليمة كاملة
دون تغيير أو تبديل ولم تنخد لها يد التحريف والتفعل كما من غيرها ^{الوقوف} .

(١) شرح المملكات السبع ص ٩١ الزوزني .

من المملكات ، وذلك لأن لبدا قد شهد عصرا متأخرا في الجاهلية وصدرا متقدما في عهد الدولة الأموية وعاصر حركة جمع الشعر ، ولذلك ظلت قصيدته سليمة مبرأة من النحل والتزوير •

وقد نالت هذه المملكة اعجاب الناس وشغفهم ، وذلك لما امتازت به من ^{بأسلوب رائع} خصائص رفيعة وسمات فريدة ، فقد انفردت بـ ^{بأسلوب رائع} رصين ينم عن الفصاحة والبلاغة ، وقد تضمنت كثيرا من معاني الأدب والحكمة ، مما جعل محبي الأدب والحكمة يولمون بحفظها ويجدون فيها ضالتهم ، ^{وكنى} ومعنى الطرب واللهو وأصحاب الفن والفنل ، وقد وجدوا فيها التشبيهات النادرة والطبيعة الرائعة والانفعالات النفسية لدى الحيوان وضروب العز والنبيل والكم ، وجدوا في كل ذلك لذة ومتاعا ، وسنحاول جاهدين عرض المعاني والصور والأخيلة في المملكة وأفكارها قدر استطاعتنا •

بدأها بذكر الديار المقفرة ووصف الأطلال البالية ، وقد خلت هذه الديار من أهلها ، وضمت عليها سنوات طويلة تامة ، دون أن يطرقها انسان ويستقر بها مقيم ، وهي معرضة لفصل الرياح وتنتابها الأنواء وتصيبها الأمطار الغزيرة مرة والهيف مرة أخرى ، ويقصف في جوهها الرعد وتنجلي عنها الأحداث الجوية ، فيصطبها خصب ونماء ، وتندب فيها الحياة ، وتتشوشب الأرض ، وصارت مرتعا للطي والبق ، ومأوى ^{للمهوى} للمهوى ، يمارس فيها حياته الخاصة وقد أمنت الناس •

وهنا وقف الشاعر على هذه الديار التي يصبر عنها ، وتبدلت

أحوالها وشؤونها ، وثقة السائل المتذكر وثقة الحزين الأسف ، وهو
يود لو تخبره بأخبار الذين كانوا فيها ، ولكنه لا يكاد يستغرق ، ففى
هذا التفكير حتى يرد حزنه الى الرية والرشد ، فينكر على نفسه ذلك ،
من سؤال هذه الديار والصخور الصم الخوالد ، التى فقدت كل حركة
وكل نشاط فكيف السبيل اليها . . . ألا تتكلم ؟ وكيف السبيل لها
الى أن تجيب ، وذلك فى قوله :

فوقفت أسألها وكيف سألنا . . صا خوالد مايبين كلامها
ثم ينتقل الى أطلال الديار وآثار الغيام ، وآثار ماكانت
تحتويه الغيام من المتاع والآثا ، وقد محيت ولم يبق منها الا القليل ،
كأنه بقايا نقش قد محاه أو كاد يمحوه طول العهد ، أو كأنه رجوع
الوهم وقد أخفت الواشمة تعبه وتجدده على اليد ، ولستمع اليه
وهو يردد هذا الصنى :

وجلا الميرور^ل عن الطلول كأنها . . زير تجد متونها أظلامها
أو رجوع واشمة أسف نؤيرها . . كفا تعرض فوقهن وشامها
ثم يحن الشاعر الى هذه الأوهن وتشيره الذكريات الى أهلها
القدماء وماكان بينه وبينهم من لذة ولهم ومتاع ولقاء ، وما كان يقاسمهم
فيها من ألم ، فأخذ يسأل ويلج بالسؤال ثم يثوب الى رشده
ويستيقن من الجواب ويتنح باجترار الذكريات ، وأخذ يتحدث عن
يوم الرهيل ، وعن النساء الحسن اللاتي غادرن هذه الديار

الى أرض مجهولة ، لا يستطيع هو معرفتها والتيقن منها ، فقد تكون
 عن شماله نحو الحجاز ، وقد تكون عن يمينه نحو اليمن ، وعلى كل فهو عاجز
 كل المجز عن الوصول الى هذه الأماكن أو تلك ، واكتفى بالذكـرى
 والاستحضار ، وهو يرى النساء وقد دخلن الهوادج ، كأنهن الظباء
 حين يأتين الى الكس التي يتخفنها من أغصان الشجر ، وقد تحقق من
 هذه الهوادج ، فيذكر قواشها وما انتشر عليها من ثياب واستارها الرقيقة ،
 ونهضت الابل واتبعتها ببصره وهي تنأى عنه رويدا رويدا ، ثم أن صورها
 وهي تبعد عنه وتختفي خلف الأفق ما تزال تتمثل لهينه حتى تتخذ من
 مراب الصحراء أردية تتوارى خلفها ، ولم يكف الشاعر يوصف ما رآته عينه
 بل أهرق أذنه فيما سمعت ، وهو يصور لنا ما سمعته تصويرا رائعا لا يقدر
 عليه الا الشعراء أمثاله ، فهذه الابل قد نهضت وأخذت تسمى بأجـالها
 من خيام ومتاع ، وهي تسمى مضطربة ، وهذه الخيام تصر لهم هذا
 السـمى والاضطراب ، ومن يحلم لعل في صرير هذه الخيام اعتـجـاجا
 واعتراضا لهذا الرحيل المفاجئ ؟

والآن وقد ذهب كل ذلك . . . وتوالت الأيام دون أن يبلغ أحباءه ،
 لأنه لا يعلم وجهتهم ، وأين حظائر حاليهم ؟ فمن الذي يستدعيه السـمى
 الاسترسال في اليأس والاستسلام الى هذا الهزج ؟ وفي الحياة ما يشغله
 عن هذا اليأس ويصرفه عن هذا الهزج ، وأن صاحبه هذه التي هجرتـه
 وانصرفت عنه وقد هفت كل ما بينهما من الوسائل والأسباب لخليفة بأن تلقى
مقطعة

صدّاً بصد ، واعراضاً باعراض ، وهجرانا بهجران ، وقد مضت الابـ^ــل
بصا^ــهته الى حيث لا يدري ، واعل ناقه لاستطيع اذراكم . . . ولنتترك
العنان للشاعر ليتحدث عن تلك المعاني كما صورها هو :

عريت وكان بها الجميع فأبگروا •• منها وغود رنومها وثامها
 شاتك ظمن الحى حين تحملوا • فتكسروا قطنا تهر خيامها

فصواتي ان ايمنت فمظنة
فاقطع لبانة من تعرض وصله
خبر واصل خله (١)

وكان لناقة قسط كبير من الوصف والتشبيهات ، فهي تختلف عن
النوق الأخرى ، التي لا تصدو أن تكون حيوانا يصفون أعضاءه ، أو يمدحون
هزاله من كثرة الأسفار ، واحتلت من ذلك غير قليل ، فهي مثبته
مكدودة ، قد براها السفر والسير المتتابع وألح عليها الهزال ولكن ذلك
لم يقهر بها عن السرعة ، فناقة فيها حياة وحركة وقوة ونشاط ، فهو يتبصرها
ويسايرها ويشبهها بالبقرة الوحشية تارة وحمار الوحش تارة أخرى ، ويتخذ
من كل ذلك صلة وسببا لاستحضار الصور الطبيعية المختلفة ، ولا يقتنع
ببعضها ، وإنما يذهب الى ابتداء الأحداث والأقاصيص
التي ينفذ منها الى عرض الصور الحية والأحداث الفاجعة للأشياء

(١) حديث الأربعة ج ١ ص ٣٤ د ٠ طه حسين ٠

الوحشية ويعرض عن هذا الطريق عواطفه وانفعالاته ، فهدت الأثمان
الوحشية تنافست فيها الفحول وتناحمت عليها وكثر فيما بينها المراك
والنفار ، ثم استأنست بواحد من تلك الفحول أو قل استأثرت ذلك النحل
بها ، واصطفاه لنفسه ، وراوده الشك فيها والخيرة عليها ، ففضـل
أن ينغرد بها في مكان قصي منحل ، فهو يدفعها أمامه ويعدو في أثرها ،
وهي تسرع وهو يزداد سرعة في طلبها حتى يلفها مكانا مرتفعا فيه نباتات
وعشب ، فيقيمان فصل الشتاء حتى يقبل الحر ويحتاجا للماء بعد أن ألسع
عليهما الظمأ ، فيقدصها أمامه لتسعى بين يديه فتحاول أن تفوته وهو يدركها
أو يكاد ، فيثيران غبارا وينتشر كأنه ثوب يتجاذبان ، أو كأنه دخان
مشملة مضطربة ، وما يزالان في عدوهما حتى ييلغا مكان ماء رائق جميعـل
حواله تصب يتأرد ويتمايس مع الهواء فيعضه قائم مستدل والبعض الآخر
منكفي على الماء وكأنه يريد معانقته .

ولا يكتفي صاحبنا بهذه الصورة بتشبيه ناقته بالبقرة الوحشية ،
بل أخذ يخلط الأحداث ويفتعل النكات لهذه البقرة ويسرد الآلام التي
تعانيها بأسلوب فاجع مؤثر ، فالبقرة قد فقدت وليدها بعد أن تركته
تابعة قواصمها ، فافترسته الذباب الكواسر ، فمادت تبعث عنه حميرى ،
والهبة جازقة تروح هنا وهناك ، يتردد بغامها بين كسبان الرمال فلا تجده ،
فيمنى النهار ويوطئ الليل ويسيل المطر ويروي الأرض ، ويزداد المطر
كما يزداد الظلام البهيم ، فيشتد بها الخوف ، وتأوى إلى جذع شجرة ثبتت

١٢٠

في أهل كتيب بعيدة عن تناول الناس ، والهرق يلصق في ظلام الليل
 المخيف ، والبقرة تبدو تحت الغيماء لامعة كأنها جمانة البحري —
 نظامها ، وتظل في خيرتها تتردد حول القدران سبع ليال كاملات ،
 ويدخلها اليأس وكأنها تتحسس ضرعها الذي جف فيه اللبن الذي أودعته
 الحياة لأمسها ، المفزوعة له الجازعة عليه ، وبينما هي كذلك إذ يتليها
 القدر بصياد لا تعرف مكانه ولكنها تدرك أدراكا غريزيا أن الخطر يتهددها ،
 فترهف السمع وتتحسس صوت الإنسان ، ويستمر في وصف انفعالات البقرة كأنه
 يصف انفعالاته هو هذا الوصف الدقيق ، ويستمر في سرد القصة — فإن
 البقرة التي تنجو من نبال الصياد ، تتعقبها كلاب الصيد التي أرسلها
 القاصص ، فصارت تعدو في أثرها الكلاب وقد أيقنت أن لاجئة إلا بالقتال
 واستبسالها فيه ، فتعطش على هذه الكلاب وتكون بينها وبينهن معركة
 تسفر عن قتيلين .

كل هذه الصور والأقاصيص التي يقدمها ليبد لك يقول " إن
 حال أولئك مثل حال ناقته التي تسمى تحته " ، وإلى جانب هذه
 الروعة والبداية الفائقة في عرض الشاعر حالة ناقته واستخدامه شتى الصور
 الرائعة والتشبيهات المنتزعة من البيئة الصربية واللباقة الفنية في نقل فكره ،
 إلا أننا نلحظ إلى جانب ذلك كله الأقصوصة الشعرية الراقية بأحداث
 مفاجئة مؤلمة ، وقد استوفى الشاعر أركانها وأحداثها ، ولو أن الشاعر
 وضع امرأة موضع البقرة فماذا كان ينقصه ؟ لا شيء ، الحلافا ، ولحل فـ

عرفن النحي خير ما يرسم هذه الصورة ، قال :

- يطلح أسفار تركن بقيّة •• منها فاحنق صلبها وسنامها
 وإذا تغالي لحمها وتحسرت •• وتقطعت بعد الكلال خد امها
 فلها هباب في الزلم كأنها ^{الزمام} •• صهباء خف مع الجنوب جهامها
 أو ملع وسقت لأعقب لائح •• طرد الفحول وضربها وكد امها
 يحلو بها حدب الأكم مسجج •• قد رابه عصيانها ووجامها
 بأحزة الثلوت يرباً فوقها •• قعر المراقب خوفها وآرامها
 حتى إذا سلخا جمادى ستة •• جزاً فطال صيامه وصيامها
 رجعا بأمرهما إلى ذي مرة •• حصد ونجح صريمة أبرامها

 ومضى وقد مرها وكانت عادة •• منه إذا هي عردت أقد امها

 أفلك وحشية مسبوقة •• خذلت وهادية الصوار قوامها

 صاد فن منها غرة فأصبنها •• إلا النايا لا تطيش صرامها

 وتنهى في وجه الظلام منيرة •• كجمانة البحرى سل نظمها
 حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت •• بكرت تزل عن الثرى ازلامها

حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا .. غصفا دواجن قافلا اعصامها
 ملحقن واعتكرت لها مدرسة .. كالسمرية الحسنة عدها وتامها
 لتذودهن وأيقنت أن لم تزد .. وابقت ان قد أصم من الخوف حمامها
 فتقصدت منها كساب فصرجت .. بدم وغودر في المكر سخامها

هذا ... وأريد ألا أمر بهذه الأبيات دون أن أشير إلى ما في البيت الثامن منها من اقدام وتصميم ، فانظر إليه كيف رسم فيه العزيمة المصمة ؟ والمضاء الذي لا احطم ولا تترك فيه ، وكيف استطاع أن يلائم بين هذا المعنى الحازم الشديد وبين هذه الألفاظ الحازمة الشديدة ؟ فقد استعمل كلمة " الفرقة " وكلمة " الحصد " ، ثم انظر إلى الشطر الثاني منه كيف أرسله مثلا تجرى به الألسنة مهما كرت الصور واختلفت البيئات ، وهو قوله : " ونجح صرمة أبرامها " وهو يريد أن يقول : " ان نجح العزيمة رهين بالتصميم عليها " .

ومجد أن أتم الشاعر تصوير البقرة تصويرا حقق به انفصالاته ورسم جميع أحوالها وتصوير الآثان في أطوارها المختلفة ، وبرج في ذلك براعة لا تجارى ، التفت إلى راحته فذكرها ، وذكر ما يستعين بها عليه من الثقلاء والتفت والأسفار :

فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحي .. واجتاب أردية السراب أكلها
 فهو يستقبل الصحراء براجلته ، وقد ارتقت شمس الضحي سلال
 السماء وأنارت الكون من أدناه إلى أعلاه ، وتحولت إلى مرقع للأياح

الحديث اليها معلاتها مفاخرها ، فاذا هو يندفع في تصوير حياته لها في
 السلم والحرب ، ففي السلم - فهو لاه - ليله وشهارة ، غاشيا مجالس
 القوم مترددا على العانات ، مفاليا في شراء ابنة الكرم ، لا يستفيد
 ولا يستكثر من الربح ولكن ليذرم ما كسبه على السائل ^{ليقتله} ~~تجنيته~~ والجائع
 فيطعمه والمحرور ليعطيه ، وأما في الحرب فهو أسرج قومه وثوبا للـ
 فرسه ، اذا ماتناهي اليهم خبر نذير غارة أو أشفقوا منها ، ولم لا يكون
 أسرعهم جميعا الى فرسه وقد اتخذ من لجاسها وشاحا له ، كأنما
 ينتظر الفزع في كل لحظة من لحظات النهار ، فهو اذن دائما متأهب
 مستعد للمفاجآت ، فلا يستطيع العدو أن يأخذه على غرة ولم
 يكذبوا فرسه حتى اندفع به طليعة لقومه يرقب تحركات العدو ويرمدها
 فيشرقه بفرسه مرقبا عاليا يقيم فيه ما أقام النهار ، وينتظر أن يرى في العدو
 ما يدل على مقدسه لينبئ قومه ، قال :

بل أنت لاتدريين كم من ليلة طلق لذيد لهوها وندامها
 قد بت سامرها ، وغاية تاجر وافيت اذ رفعت وعزمادها ^{براز}
 أغلى السباء بكل أهكن عاتق أو جونة قد حث وفهن ختامها
 وصبوح صافية وجذب كرينة بصوت تاتاله ابهامها
 بادرت حاجتها الدهلج بسحرة لأغل منها حين هبت نيامها
 وغداة ربح قد وزعت وقرة اذ أصبحت بيد الشمال زمامها
 ولقد حميت الحي تعمل شكتي فخرط وشاحي اذ غدوت لجاسها

الذي عاوده النشاط وانتشر في الفضاء الواسع يجوب أركانه وحد أنا وزرافاتي ،
 ويمضي الضحى ويخلفه انتصاف النهار ، ويمتد السراب ويتكاثف ويغطي
 الآكام والتلال الضبثة هنا وهناك كأنه رداء تسترت خلفه أو ستار أسدل
 عليها .

الا أن الشاعر عاد الى ذكر حبيبته - النوار - تلك التي كان
 يتميز عنها في مطلع القصيدة ، فقال مترنماً بما منحه الله من خصائص
 الحزم والكرامة والمزة والاباء :

أو لم تكن تدري نوار بأني .. وصال عهد وحبائل جذامها
 ترك أمكنة إذا لم أرضها .. أو يعتلق بعنق النفوس حمامها
 فالشاعر يصور لنا عزة نفسه واباءه الضيم أحسن تصوير وأروعها ،
 فهو لا يقيم في مكان مكرها مرغما ، ويسام فيه الضيم ، أو تهان نفسه فيه ، وإن
 أقام فلا يبدل لعنق النفوس أن تزحف وتشوب الضية ، غير أنه لم يذكر هذه
 النفوس على وجه التخصيص ، وكل ما هناك أنه ان أقام في مكان يستشعر
 فيه الضيم أو الإهانة فهو لن يرضى بهذا الضيم أو تلك الإهانة ، فأما
 أن يستشهد ويموت في سبيل هذا الإباء وأما أن يميت .

ثم يدبر الشاعر دقة الحديث عن صاحبتة ويوجهه إليها بعد أن
 أطال الحديث عنها وبعد أن أطال الكلام وأجال الفكر وقبح الذهن عتبي
 ارتسمت في نفسه ارتساما على بعد العهد ونزوى الديار ، واستحضرها
 بغياله فإذا هي ماثلة أمامه يراها ، ويشعر بوجودها بجانبه ، وأخذ في

فصلوت مرتقبا على ذي هبوة . . . خرج الى اعلامهن قنابها
 حتى اذا ألت يدا في كافر . . . وأجن عورات ^{النفوس} ~~النفوس~~ ظلامها
 هناك يهبط الى السهل ، فقد خيم الليل وأسدت ستائره ولم يبق له أرب في
 ارتقاب المدوم من هذا المكان المرتفع ، ولكن تأمل معنى قوله : " حتى اذا
 ألت يدا في كافر " ، يريد حتى اذا غرت الشمس ، ألا ترى روعة فـي
 التعبير وجمالا في الأسلوب ودقة في التصوير ، يقول :
 أسهلت وانتصبت كجذع منيفة . . . جرداء يحصر دونها جرامها
 ومحمد أن فرغ الشاعر من ذلك كله أخف يصف لنا فرسه ومدى تحمله
 لشدائد الحرب ومماناته لها ، ومقدار صموده في المعركة ، على الرغم
 من كل ما يمانيه من تمب واجهاد ومشقة ليفر ويكر بصاحبه ، ليتخذ من ذلك
 مصبرا الى وصف موقفه في محافل الخصومة ومقارعة ومخاصمة الأعـدا ،
 قال :

رفعتهم طرد النعام وفوقه . . . حتى اذا سخنت وخف عظامها
 قلقت لحالها وأسبل نحرها . . . وابتل من زيد الحميم خزامها

 وكثيرة غراؤها مجهولة . . . ترجى نوافلها ويخشى ذامها
 غلب تشذربا لذل حول كأنها . . . هـن البدى رواسيا أقدامها
 أنكرت بالحلها وبؤت بعقها . . . عندي ولم يفخر طي كرامها
 فهو يشير في الأبيات الثلاثة الأخيرة الى مهاجته للربيع بن زياد العبسي

على باب النعمان *

ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن عادة لازمت في جهاديته واسلامه -
 عن كرمه وجوده - فقد حدثنا أنفا حين كان يقامر على نحر الابل لا يبتغي بذلك
 ربحاً وكسباً ، وإنما يبتغي أطعام الجائعين والمحتاجين الذين كانوا يأوون
 اليه ، فيهم الضيف وفيهم الجار وفيهم الماقر لا ولد له وفيهم المطفل قد كثر
 ولدها وفيهم هذه الهائسة وفيهم الهائسات يلزمن أطناب الخيمة كأنهم -
 النوى التي تشد الى قبور الموتى لا تترك^{تركة} حتى تموت عليه ، وكل هؤلاء يرزقون
 عنده رغداً ، وتقدم لهم الجفان وقد ملئت بالثريد ، وكللت باللحم ، فهم
 ينههون كأنهم نزلوا - تباله - وقد أخصبت وكثر فيها الرزق ، فيقول :
 وجزور أيسار دعوت لحتفها * بمخالق متشابهة أجسامها
 أذعوبهم لماقر أو مطفل * بذلت لجيران الجميع لحامها
 فالضيف والجار الجنيب كأنما * هبطا تباله مخصبا أمضامها
 تتساوى الى الاطناب كل رزية * مثل البلية قاص أهدامها
 أما الجزء الأخير من المعلقة ، فقد خصه الشاعر لمدح قوم -
 والفخر بهم ، والتغنى بأمجادهم ومآثرهم ، وهو في هذا يمثل الرجل
 العربي المهتر بقومه الذي يرى ان لا عز له الا اذا عز قومه *
 فاذا تغنى لبيد بهياته ومكارمه ولهوه واسرافه في مصاقره الخمير
 وانفاقه فيها ، فرغ عندئذ الى عشيرته ، ففخر بهم ووصفهم بما هم أهل
 له ، من الكرم والنجدة والبأس وقوة السلطان ، فقال في معلقته مفتخرا

بهم وبحزتهم ومكانتهم الرفيعة ، قال :

فمن يعطى المشيرة حقها ^{وفلذ} . . . وخف من لحقوقها هضامها

وقد كان لمعلقة لبيد تأثير كبير في الآخرين ، فيكفي أن نظم —

أشارها في قصيدة شاعر أموى مجيد هو غيلان بن عقبة بن مسعود بن نهيس

المصروف بذي الرمة ، يقول البهيمى في تاريخ الأدب العربى :

مابال عينيك منها الدمع ينسكب . . . كأنه من كلى ^{مفرقة} مشرسة سرب

ويروى : مابال عينيك منها الماء .

فكل شئ في قصيدة ذى الرمة صدى لشئ من قصيدة لبيد ،

اللهم الا أبياتا قلة يختم بها لبيد قصيدته .

وكذلك فان ذى الرمة لم يفلح في تصوير جو الهادية كلبيد ، ويرجع

ذلك في رأينا الى اختلاف الحياة والبيئة التى عاشها كل من الشاعرين ،

فلبيد لازم الصحراء والبيئة النجدية مما عكس ذلك في شعره ، فهو عندما

يصف جو الصحراء فهو يصور بيئته الصحراوية عن مكابدة ومعايشة وملازمة ،

أما ذى الرمة فحياته وبيئته تختلف عن لبيد ، فالبيئة عنده يغلب عليها طابع

المدينة ، فهو اذن عندما يصف جو الصحراء فليس ذلك عن مكابدة كلبيد ،

ومن هنا فان لبيدا قد صور لنا الصحراء تصويرا صادقا ، ونلاحظ أن ^{هنا} ~~هنا~~ ^{هنا}

فارقا بين القصيدتين ، فلبيد يصف بقرة وحشية اقتربت السباع وليدها ،

في حين أن ذى الرمة لم يصرها للبقرة .

الا اننا لانفى أخف ذى الرمة وتأثره بصور وتعبير لبيد ، وخصوصا

إذا عرفنا أن ذا الرمة كان من عشاق شعر لبيد .

ومن جيد أشعاره في الجاهلية - عدا المعلقة - قصيدته الالامية ،

والتي بلغت ما يقارب الستين بيتا ، وهي من البحر الوافر ، وهي مكونة من

تسعين رئيسيين :

((١)) وصف حيوان ^{الدهور} المهرأ ، ومعيشته فيها ، وممارسته حياته الطبيعية ،
فيعيش في جماعات مؤلفات تلعب بين يديها رثالها وأفالها ، و-----
مطاميرها :

ألم تلم على الدمن الخوالي . . . لسلوى بالمذانب فالقفا
كما أنه تعرض لما يفاجئ به الحيوان وهو لا يدرى ورثاله بين يديه
تتنقل تخطيطه وتقفز قفزات اللاهي الذي يريد أن يتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة
الجميلة ، تفاجئها كلاب الصيد من حيث لا يحتسب ، كلاب مدربة على
الصيد والمطاردة والملاحقة ، ويكون هناك عندئذ طراد وعراك
يقول :

فبأكره مع الأشراق غضف . . . صواربها تخب مع الرجال
فجال ، ولم يجل جهنا ، ولكن . . . تعرض ذي الحفيظة للقتال
فغادر ملحما وعدلن عنه . . . وقد خصب الفرائس من طحال
هذا ولم يغفل صاحبنا بخبرته ومعرفته لطبائع الحيوان ، من أن
يتعرض لما يجري بين الفحول منها والغيرة التي تنهش بعضها من بعض ،
فهو ينقل لنا صورة حمار طرد ^{الجحر} الجحر من مرافقة الإنسان ليخلو له الجو ،

مُحَلًّا

فهو لا يطيق نَحْلاً آخر معه ، ولا يلام على نفسه للفحول الأخرى ، وبين
أنه سَلَطَ عليها نابه وجافره ملاحظاً لها بالفراب ، حتى استبان أيها
قد حملت وأيها لم تحمل ، وقد أبدع ليبد في هذه الصورة حيث تمرور
أن الفحول الوحشية تغار على أناسها من بعضها ، وهو بهذا كأنه
يمرور أحاسيس انسان يغار على امرأة ويريد الاختلاء والانزواء بها عن
أعين الآخرين ، ويستأثر بها دون غيره . . . الخ .

يقول :

نفي جحاشها بجماد تو . . . خليط ما يلام على الزبال
وأمكنها من الصلبيين حتى . . . تبينت المختلر من للخيال . . . الخ .
(٢) أما الجزء الأخير فهو يعاتب فيه قومه ، لأنهم أسلموا قيادتهم إلى
رجل من الخليفة خبيث الطوية ، وحادوا عن شيمهم الممهودة ، فيقول
معاتباً إياهم :

هم قوي وقد أنكرت منهم . . . شمائل بد لونها من شمالي
يغار على البري بغير ظلم . . . وينفض ذو الأمانة والدلال
وأسرع في الفواحر كل طهل . . . يجر المخزبات ولا يبالي
أطمتم أمره فتبتموه . . . ويأتى الفى منقطع المقال (١)
وكان لموت أريد وقع شديد على لبيد ، فبكى عليه بكاءً مرا وحزن عليه

هزنا شديداً ورثاه بشعر جيد الديباجة ، صباه فيه الشاعر لوعته وأسنفه
 وحزنه ، وفيه حكمة أبيد وفلسفته في الحياة ، تلك الفلسفة المستمدة من
 بيئته وحياته البدوية البسيطة ، جاء ذكره كله في جزالة لفظ وجمال
 أسلوب وروعة مهني وبلاغة تصوير ، ومثانة تعبير ، انظر اليه في هذا البيت
 من قصيدته المينية وهي من البحر الطويل :

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يهور رمادا ان هو ساطع
 فكل امرئ يخبو بعد توقد ، حين تدركه الضية ، كالنار تكون ساطعة
 الضوء ثم تصبغ رمادا ، ثم نمحن الفكر ونهض الحس الى تلك الصورة
 الرائعة التي يصور فيها الشاعر النائم وماهيات أولئك وأنهم يصفون
 أثرهم جماعات ويأخى بهم بعضا وكان هناك زاجرا يزرعهم
 وسائما يسوسهم نحو المختوم ، يقول :

وما المرء الا مهنرات من التقي * وما المال الا مهنرات ودائع
 وما المال والأهلون الا وديعة * ولا بد يوما أن ترد الودائع
 ويمضون ارسالا وتخلف بعدهم * كما ^{نعم} أخرى التاليات المشايخ
 ثم يصور الشيخوخة وفصلها بالرجل المهم ، من أنه لا يقوى أن يسير
 على قامتيه ، ولا يستوى على رجليه دون استخدام عصا يتوكأ عليها ، وكان
 لبيدا يصور حالته ، وما آل اليه في أخريات أيامه وهو يضرب متوكأ على
 محجته يقول :

أليس ورائي ، ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

وما أكثر الصور والكنايات التي حفل بها شعر أبيد ، فبعضها جاء

على طريق التشثيل المثل ، يقول في هجائه للربيع بن زياد الميموني :

وأنت حـاسـي حـسـوة فـذاثـق

وحاسي : شارب ، وهو على المثل أي ستذوق وبال أمرك ^{تجني} ما ارتكبتـه

يداك وتعاقب بجريرتك •

ومعناها الآخر جاء على طريق الكناية ، يقول :

في كل يوم هاتمي مقـزعة

ومقزعة ، متساقط شعرها ، وهذا كناية عن أنه يقاتل كل يوم ومقاتل •

ثم نتفحص مليا هذه الصورة وهو يخاطب عيينة بن حصن الفزاري :

فان كنت قد سوت ممزى جبـلـا •• أبا مالك ، فانصق اليك بشائنا ^{بضائن}

والجبـلـي : الغنم الصغار ، وانصق بشائك : ادع بشائك ، وهذا على

الكناية أي أن كان قومك بهذه الذلة ، كالغنم ، فاجمعهم حولك ، فـما

يعنون شيئا •

وقد أجاد أجادة تامة في تشبيه لمعان الهرق في السحب بجيش

قائمين بأيديهم الحراب ، يقول :

يـهـي ربابه في المن حبـشا •• قياما بالحراب وبالألال

ثم تأمل هذه الصورة التي رسمها للحمار الوحشي وهو يقف على جبل

لبنى أسد ، يقول :

يـصـرف أـهـلـك الأـمـور تخالـه •• بأحقاف ساق مطلع الشمس مائلا

والمعنى : لو أنك رأيت هذا الحمار واقفا عند منحطفات ساق " أو رماله " في آخر الليل (أو عند مطلع الشمس) لحسبته كأنما هو يتفكر في الأمور ويتأمل جوانبها " أو أطرافها " ، فهو قد أضاف صورة حية ناطقة لذاك الحمار الواقف علما بأن وقوفه شئ طبيعي لكن براعة الشاعر وتأمله الدقيق وقوة خياله كل ذلك دفعه ليصفي على هذا المنظر تلك الصورة الحية وكأنه انسان يتأمل في ملكوت الخالق عند بزوغ الشمس أو في جوف الليل .

وينقل لنا صورة أخرى للحمار الوحشى وقت اشارة التزايج أو وقت منازعة الهم ، يقول :

فهيجهما بعد الخلاج فسامحت . . . وأنشأ جونا كالضباية جاثلا
فالخلاج : التودد والنكاح أو منازعة الهم ، فقد صور الشاعر الفبار الأسود المتطايير من جولان الحمر الوحشية كأنه سحابة .

ثم انظر كيف ^{كنى} عن راحة الخيل في قوله :
إذا وصقوا ألبادها عن متونها . . . وقد نصحت أعطافها والكواهل
فقد كنى بقوله " وصقوا ألبادها " عن أنهم أراحوها بعد التعب .
وقد شبه الجوارى بظباء شقيقة (وهو اسم مكان بد ياربنى سليم)

في قوله :

تروح إذا راح الشروب كأنها . . . ظباء شقيقة ليس فيهن عاطل
وقد ^{صلى} لنا تشبيها رائعا وصورة جميلة للظلمان (ذكــــــــــــــــور

النعام) في قوله :

ورفاق عصب ظلماته . . كخزيق الحبشين الزجل

فقد شبه الظلمان أى ذكور النعام فى تلك الصحراء بجماعات الأحياء المحتشدين .
والمتفحص لشهر لبيد يجد أن نظرائه الحكمة ومعانيه وزهير
ابن أبى سلمى لهذا المجال كانت قريبة المعانى الإسلامية ، وذلك
لأن الفترة التى سبقت عهد الرسالة الإسلامية فترة ارهاق وتعب ، فقد كان
هناك احساس بقرب هذا العهد وتبدل فى القيم والمعايير ، ونبت التوجس
والمصيبة والجهل وانتشار الظلم والعدل وتهذيب الخلق ، وجمع للشمل ،
وتكثيل للاجتهاد ، وما حلف الفضول الا مثلا لتلك الفترة ، فليس غريبا
اذن أن تظهر معان قريبة من المعانى الإسلامية فى شهر صاحبنا لبيد
وغيره من الشعراء ، وليس غريبا أن يمتدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
بيت لبيد كما أشرنا .

ويظهر فى شهر لبيد كثير من السمو الى ماوراء الطبيعة ، والتأمل
والتروى فى آيات الله وهدى الانسان فى الحياة ، ونهايته ومصيره ، بأسلوب
فيه قوة وعاطفة شديدة التأثير ، .

يقول البستاني : " ان لبيدا كان يتسامى فى شعره وينفرد بهند
الخاصية عن زهير بن أبى سلمى الذى يلتصق الأمور المادية ، وعن أمية بن أبى
الصلت الذى كان يسمو ويخبر ، وعن عدى بن زيد الذى اتبع هريق التشاؤم
والياس ، فليبد يجمع بين هذه الطرائق الثلاث ويسمو بها جميعا الى
مصدر العدل والتعزية . . الى الله . . فيؤمن به ايمانا تاما ويتكل على

عنايته اتكالا وثيقا حتى يمكن القول أن لبيدا خالق الشعر الوعظي " (١)

وهناك كثير من الشواهد والأدلة على ذلك يقول :

وما الناس إلا كالديار وأهلها ••• بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

ويقول :

وما الناس إلا عاملان : فعامل ••• يتبرء وآخر رافع

فمنهم سعيد آخذ النصيب ••• ومنهم شقي بالمعيشة قانع (٢)

غير أن البستاني لم يورد لنا أي دليل على قوله ، ومن هنا

فاننا نقول ان الحكم بدون دليل كأن لم يكن ، غير أننا نسوق رأى أديب

كبير كدليل على ذلك الى جانب الأبيات الشعرية السابقة •

ومما يؤيد هذه النظرية قول الخشبي بن عبد السلام حيث يقول :

شاعران من فحول الجاهلية لهما بيتان ذهب أحدهما مذهب المدلية

والآخر ذهب مذهب الجبرية •

فالأول - أعشى بكر - حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء والعد ••• ل ولى الصلابة الرجال

والذى ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة حيث يقول :

ان تقوى ربنا خير نفل ••• وماذن الله ريشى وهجل

من كهراه سبل الخير اهتدى ••• ناعم البال ومن شاء أضل
شراح

(١) الأدب العربي ج ٢ ص ١٤٥ كار برككاس

(٢) الديوان : دار صادر بيروت ص ٨٨ - ٨٩

وحكم لبيد كثيرة لا تقتصر على أبيات التي تجيء عرضاً ضمن القصائد الطوال ، وإنما هناك قصائد ومقطوعات في ديوانه خاصة بالوعظ والحكمة ، يصح أن يطلق عليها " فلسفة لبيد البدوية " ، لأن لبيدا بدوى وفلسفته وحكمته مستمدة من جو البادية وأفكارها البسيطة السامية ، وقد تجيء أبيات الحكمة في شعر لبيد ممزوجة في رثاء أخيه أريد ، لأن ذكر الموت ينبه إلى مصير الإنسان وقيمة الحياة وإلى القدر ونكباته وإلى الأيام وتقلباتها ، وقد ذكرنا بعض أبيات في الصفحات السابقة .

لقد تكلمنا عن المصاني والحكمة التي استمدتها الشاعر من بيئته الصحراوية البدوية ، وسنحاول أن نلمس لمسا خفيفاً هنا الخطوط الحكيمة التي استمدتها الشاعر من دينه الإلهي ، الذي ترك آثاراً واضحة في نفسه وانعكست آثاره في شعره ، وقد تعرضنا لذلك آنفاً ، وثقلنا أنفسنا لا بد أن يكون قد اطلع على بعض الآيات بل على الكثير من آيات القرآن الكريم حين نظم بعض أبياته ، مثل :

رأيت التقى والوجود خير تجارة .. رياحا إذا المرء أصبح ثاقلاً

ومن هنا يتبين أنه قد استمد الكثير من المصاني والحكم التي

وردت في شعره من بيئتين كان لهما أثر كبير حتى في حياته وهما :

١ - حياته الدينية التي أضافت إلى صفاته الإيمان والتوحيـد^{والتوحيـد} واليوم الآخر .

٢ - حياته البدوية التي أضفت على نفسه صفاء وكرماً .

هذا إلى جانب الخبرة الطويلة والنصر المديد الذي عاشه

الرجل ، فقد اكتسب من ذلك تجارب ومواعظ لا تحصى ومعرفة واسعة .
ولو أننا استقرضنا وصف لبيد لوجدنا فيه كثيرا من الصور الرائعة
والعبارات الجميلة ، على أننا نريد أن نلفت النظر إلى أن ^{الوصف في الشعر} ~~الجزء في القصيدة~~
الجاهلي لم يكن مقصودا لذاته ، ولكنه كان يأتي عرضا بشكل تقليدي عند
تعرض الشاعر لذكر رحلة أو سفرة قاصدا مدوحه أو ظاعنا عن دار الأحياء ،
وعندما ينغرد بناقته في وسط ^{الصياح} الصواء فإنه يشتبه الحديث والسـلوة ،
أو يشعر أنه في أشد الحاجة للهو والطرب فلا يجد غير ناقته أو راحلته
الوادة الأليفة التي تشاركه عناء السفر ، ووحدته الطريق ، ووحشة الليل
أو الظهيرة ، وأول ما يفكر إذا ما بدأ الحديث أن يوجهه إلى الذي يقاسمه
العناء والشدة ، إلى راحلته ، لأنها ألصق شيء به ، ويشعر بأنها أليسه
الوحيد في تلك القفار الموحشة إذا ما أُوغل في جوف الصحراء ، وإنها تستأهل
منه عنايته واهتمامه فلا أقل من أن يناجيها ، فيتحدث عنها فيصف سيرها وأنفاسها
وأغصانها مشبها ذلك كله بما يجده في الصحراء من هضاب وكثبان وسما ونجوم
وغيم ، وقد يفجأه وهو في الطريق وحشا أو أثنان فيأخذ في ملاحقتها
ومطاردته ويحرض أمره فيصف عدوه وجموعه وعراكه مشبها ذلك بأمور يتحققها
أو يتصورها مستعينا في ذلك بلا استمارة والمجاز والتشبيه والقص البسيط
غالبا ، والركب في الأحياء الآخر .

وقد جاء وصف لبید دقیقاً متیناً ، یحیط بكل صور الوصف ، یدقّق فی هذه الصورة ویثاقق ، ویفصل فی بعض الاحیان ، وقد ینذهب الی ذکر

الأحاديث وتفصيلها في أماكنها ، ويدل الغريب أن ما هنا حدث كنا في
 المكان القلاني ، وما لبث بالرجل العايب عندما يذكر الديار أو يصف أماكنها ،
 فإن لها في نفسه ونفس كل بدوي الصورة الحلوة الشجية التي تبثها الذكريات
 ذكريات الماضي وأيام الشباب ، ذكريات الأهل والأحبة والأصحاب ، ذكريات
 الليالي المقمرة والسمرة وما كان يتخللها من حب وغزل بين العشاق ، فهم
 قضا زهرة شبابهم يقطفون الورود من فوق الربى الخضراء ، ذكريات الأيام
 والوقائع والمجاس والأسمار ، فكلنا تشده تلك الأيام ، ويضطرب للحدوث
 عنها ، بكل ما فيها من أحداث ، ويحب الحديث عنها كلما سنحت له
 الفرصة

وقد مر معنا وصف لبث لناقته عند تعرضها للمعلقة ، ولا أرى داعيا
 للتكرار ، ومع ذلك فأنني أريد أن أعرض بيتا أعجبنى ، يقول لبث :
 فمضى وقدمها وكانت عادة . . . منه إذا هي عردت أقدامها
 ولعل في هذا المعنى معنى الحفاظ على الأنثى ، وخوفا من عنادها
 وزوغانها ، أخفت المدينة الحديثة هذا التقليد في تقديم المرأة عندما
 يصحبها زوجها أو صاحبها في خلوة أو هريق .

ومادام الحديث جرتنا إلى ذكر المرأة والتفزل بها ، فأنني أريد
 أن أذكر من الغزل صاحبنا وذكره المرأة ، فهو عندما يتفزل فإنه يذكر المرأة
 - كنوار وأسماء - وكأنها شيء ليس لها كيان ، فغزله ان يلج أن يكون
 له غزل بارد لا عاطفة فيه .

ومن المصروف أن المحبين عادة وخاصة الشغراء منهم تكون عاطفتهم
قوية ملتزمة كأنها لهيب مشعلة ، فساطفة قيس بن الملوح تكاد الجبال
تبكي على حظ المجنون العاثر ، وجميل بثينة الذي استبكى الحمام ،
وغيرهما من الشغراء المحبين •

وقد جاءت عاطفة لبيد على العكس من ذلك ، فتور مشروب
بالهرود خالية من لوعة المحبين الذين اكتروا بنار المشتى ، وتأججت
صدورهم لفراق حبيب ، أو أجبر على الفراق ، وسهروا لياليا طويلة
مسهردين أرقى ، متألمين لا ينشئ النوم أجفانهم ، محرومين من همسة
حالة وضكة ساحرة •

فمثلا تراه يقول :

فاقطع لسانه من تعرض وصله •• ولشر واصل خله صرامها
ذكره حين تعرض لذكر محبوبته " النوار " ، فانه لم يقتن بوصف لا عجز
الشوق ، ولا تلهف ولا حسرة على فراق الحبيب ، ولا تتذوق فيه مرارة
الحرمان ، كما أننا لانحس فيه بسمه الحب الصطرة •

فمعناه ، اقطع المزار من تعرض وصله بالقطيعة ، فان شرم من
وصلك من قلعك بلا ذنب ، فأين همرا من غزل قيس بن الملوح وعمر بن
ربيعة ؟ وأين مكانه من قول جميل بثينة حين يقول :

وما زادني النكاي المفرق بحدكم •• ساوا ، ولا طول التلاقي تلاقيا
وإذا نستطيع أن نقول : اما أن صاحبنا لبيد لم يكن صادقا

في حبه ، واما انه كان رجلا كئوسا صابرا حافظا لمواطنه تلك .
ولا أريد أن أترك هذا الفصل ، دون أن أشير الى بعض غرائب
من شعره ، فلقد سارت بهن أبيات لبيد بين الناس وتأثروا بهــــــــــــــا
وتحدثوا عنها حديثا مطولا ، معجبين تارة ومقلدين تارة أخرى ، فان في
شعره ذخيرة كبيرة من اللغة النجدية التي أصبح شعره شواهد لها في كتب
اللغة ، وكان الهدو والكلابيون الذين رزوا العلماء عنهم اللغة ذوى أثر
في تقريب شعره الى الأفهام .

وقد مر بنا حديث السيدة عائشة معجبة ومترجمة حول قوله :
ذهب الذين يعاشي في أكنافهم . . . وميت في خلف كجلد الأهراب
كذلك خبر عبد الملك حين حضرته الضية وهو يردد أبيات لبيد
ورواية السهتصم لشعره ، هذا الشعر الذي ذكره بأخيه المأمون فأبكره
وأشجاه ، وقد تعدت الرواة أن الفرزدق مر يوما بمسجد بني أقيصر
وعليه رجل ينشد قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها . . . زبر فجد متونها أقلامها
فسجد الفرزدق ، فقيل له ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون
سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر . (١)
ومن الواضح أن الفرزدق قد أعجب بالصورة الجميلة والتشبيه

الرائع مع العلم بأن تشبيه الأطلال بالخط الدارس ليس شيئاً جديداً
ولا صورة مبتكرة في الشعر الجاهلي ، فقد ذكر الجرجاني أن ذلك مما يشترك
فيه معظم شعراء العرب ، فامروء القيس يقول :

لمن طلل أبصرته فـجـجـاني . . . كخط زبور في عسيب يمانى

وحاتم الطائي يقول :

أتمروني أطلالا ونوياً مهدماً . . . كخطك في زمن كتابنا ^{منها} _{منها}

والهندي يقول :

عرفت الديار كرسم الكتاب . . . بزبره الكتاب الحميمى

وهذا التشبيه مستمد من البيئة الطبيعية التى يشهدها الشاعر من أطلال
دوارة وآثار باليات .

ومن أبيات لبيد التى تلقىها الشعراء فحوروا فيها أو سرقوا مما فيها

قوله :

من المسجلين الريط لـذ كانما . . . ^{منها} _{منها} يشرب ^{منها} _{منها} جلدته لون مذهب

أخذه الأخطى فقال :

لـذ تقبله النعم كانما . . . مسحت تراثيه بماء مذهب

وقوله :

وما المال والأهلون إلا ودائع . . . ولا بد يوماً أن ترد الودائع

أخذه الأقوه الأودى فقال :

انما نعمة قوم متممة . . . وحياة المرء ثوب مستعار

وقوله : —————

فوقفت أسألها وكيف سؤالا . . صا خو الد مايبين كلامها

أخذه البحتري فقال :

فلم يد ر رسم الد ار كيف يجينا . . ولا نحن ومن فوط البكا كيف نجيب

وقوله : —————

كقصر الهاجرى اذا ابتناه . . بأشباه حزين على مثال

أخذه الطرمح فقال :

خرجا كجدل هاجرى لذه . . بذوات طبع أطيمة لا تخمد

فدرت على مثل فهى نوائح . . شتى تولف بينهن الفرقد (١)

وقوله الذى شغف به النقاد ومؤرخو الأدب :

حتى اذا ألت يدافى كافر . . وأجن عورات الثفور ظلامها

أخذه شعابة بن صمير فقال :

فتناكرا^{فتناكرا} نكلا رشيدا بعدما . . ألت ذكاء يمينها فى كافر (٢)

وقوله : —————

وأنا وأخوانا لنا قد تتابعوا . . كالمفتدى والرائح المتهاجر^{الرائح المتهاجر}

أخذه أبو نواس فقال :

سابقونا الى الرحيل ————— وأنا لها أشر

(١) الشعر والشعراء ص ٩٣

(٢) الواسطية ص ١٥٠ الجرجاني .

وقوله :

لها حجل قد فرغت من رؤوسها . . . لها فوقه ما تحلب واشل

أخذه النابغة الجعدي فقال :

لها حجل فرغ الرؤوس تحلبت . . . على هامة الصيف حتى تمورا
وقال مشبهاً الأباريق بالأوز في هيئتها وهو تشبيه جديد على
الشعر الجاهلي ، يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء : " انه أول من شبه
ذلك " ، قال :

نصفن بيضا كالأوز كلورقها . . . اذا أتاقوا أعناقها والحواسلا

أخذه ابن الطثرية فقال :

كان أباريق اللجين لديهم . . . أوز بأعلى الصيف مع المناقر
كما كان كثير من أبياته الشعرية محل استشهاد عند البلاغيين
وأهل اللغة ، فقد ذكر القاضي الجرجاني : " وينفرد أحدهم أي الشعراء
بالقطة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضح موضعه أو زيادة اهتدى
لها دون غيره " ، فيزيك المشترك المتبدل في صورة المبتدع " ، ثم يستشهد
على ذلك بقول لبيد : وجلا السيول على الطلول . . . الخ .

أما أصحاب البلاغة والبيان ، فهم مفتونون ببيته القائل :

وغداة ربح قد كشفت وقرة . . . اذا أصبحت في يد الشمال زمامها

فهم يجدونه من أحسن الاستعارات .

ويستشهد النحويون بقوله :

فان حان يوما أن يموت أبوكما •• فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر^(١)

على أن التثوين قد يحذف من الاسم المنصوب الذي لم يمنح من الصرف •

ولما أنشد المتنبي بيته :

احساد في سبأ^{سبأ} في احساد •• ليك^{ليكن} العنودة بالشادر

فسئل عن سبب تصغيره (ليلة) ، فقال : " هذا تصغير التعظيم والمـ^{تفعله}ـرب
تفضله كثيرا " (٢) واستشهد بقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم •• دوسمية تصغر منها الأنامل

(١) حديث الأرماء ج ١ ص ٤٨ د • طه حسين •

(٢) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ص ١٧٨ د • محمد عبد الرحمن شهيبي •

الفصل الثاني

== ==

أسلوب الشعر

((الألفاظ - العبارات - الأوزان))

=====

غلبت على لبيد الرواية القائلة بأنه هجر الشعر في الاسلام ،
وأهمل الاسلام شعره ، لذا لم يكن من الشعراء الذين قامت عليهم الدراسة
وتناولت شعرهم العناية ، مما دفع معظم العلماء والمؤرخين بالنكس
عن محاولة دراسة ومتابعة إنتاجه وفهمه والوثوق على أسلوبه الشعري ، ولقد
كان للزمن الطويل أثر كبير في تغطية شعر لبيد بستار كثيف من الإهمال
والنسيان ، اللهم إلا قلة قليلة من بين الأدباء والمؤرخين ، عرفوا شعر
الرجل وخصائصه ووقفوا على مكانته الأدبية ، ومع هذا لم يصلوه حقه من
الدرس والعناية ، والمكانة اللائقة به بين أمثاله من الشعراء المجيدين .
وان الدارس لشعره يقف مصجبا أمام شاعرية فذة وأسلوب رائج
جميل يترك أثرا ووقفا في النفس . . فهو شاعر مجيد بلغ حدا كبيرا من
الاجادة والاتقان والابداع .

فهو من حيث اللفظ ، لم يجد أي ناقد من النقاد القدامى ولا المتأخرين
السقط ولا السفاسف الذي انحدر اليه كثير من فحول الشعراء سواء كان ذلك
في اللفظ أو الأسلوب أو الخيال .

فلفظه سليم لا ركافة ولا سقم فيه ولا خبار عليه ، وعلى الرغم من جاهليتها ودأوتها وخشونتها فإن لها وقعا موسيقيا خاصا وغدوة شعرية ساحرة ، هذا الى جانب تناسب وجزالة ورصانة تستسيغها الأذواق وتطرب لها النفوس ، وهو على رأس الشعراء الذين أخذت اللغة عنهم ، فألفاظه عربية نجدية قحة ، فشعره ثروة لغوية يجب العناية والدري لها •

هذا ولحسن أسلوبه ورونقه كان ولا يزال محل إعجاب وتقدير من كافة الأدباء والدارسين ، فهو لا يزال متداولا على السنة وأفواه الرواة والأدباء والعلماء والأمرء والوزراء ، وقد قدمه بعض النقاد القدامى على شعراء الجاهلية والإسلام ، فقال عنه : " انه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لقوا في شعره " (١)

كما جعله هذا الناقد في المرتبة الخامسة من فحول الشعراء بعد امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى ، وذكر ابن رشيق أن الشاعر قد الرمة كان يفضل لبدا على امرئ القيس والأعشى وزهير والنابغة • (٢)

غير أن الأصمعي لم يكن معجبا بشعره فوصفه بأنه " طيلسان طبرى " ، أى جيد المنعة وليست فيه خلابة ، ولم يعبه من الفحول ، ووصفه بالصلاح تهربا من أن يحكم على شعره الدينى ، لأن الأصمعي كان

(١) بحيرة أشعار العرب ج ٣ ص ٦٤ ، أبو زيد القرشي ط • مصر ١٩٢٦ م

(٢) المصنف ص ٦٢ ابن رشيق •

يرى أن الشعر إذا دخل في باب الخير لان أي أصابه ضعف على حـ

زعمه •

وكان الناس ^{للمعروف} يعجبون بشعره ويتناقلون أخباره وأقواله معجبين
برعائته ^{نظمه} وبتانة أسلوبه وروعة معانيه وعمق تشبيهاته ، وقد كانت أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها تعجب بشعره ، وتحفظ الكثير منه ، ^{فمنه} ثم قالت : " اني لأروى عشرة آلاف بيت له " (١) .

وقد نقلوا أنها كانت تعجب بشاعريته وأسلوبه ، وانها كانت
تقول : " رحم الله لبيدا ، ما أشعره في قوله :

ذهب الفين يخاص في أكفاهم ••• وبقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينقصون ولا يرجي خيرهم ••• ويصاب قائلهم وان لم ينقص
ثم قالت : كيف لو رأى لبيد خلفنا هذا " ، وقال الشعبي : " وكيف لم يروا
أم المؤمنين خلفنا هذا " ؟ " (٢)

ويروى أن عبد الملك بن مروان كان ينشد شعر لبيد وهو على
فراش الموت ، فيبحث فيه القوة والصبر والأمل حين يقول :

غلب الرجال وكان غير مغلب ••• دهر جديد ورائم مدود
يوم أرى يأتي على وليلة ••• وكلاهما بمد المضاء يصود
وأراه يأتي مثل يوم لقيته ••• أم ينصم وضعفت وهو شديد

(١) المقد الفريد ج ٥ ص ٢٧٥ ابن عبد ربه •

(٢) جمهرة أشعار العرب ج ٣ ص ٦٦ ط • بولاق •

(٣) الأغاني ج ٥ ص ٢٠٥

ويروى : قلب العزاء . . . ودهر طويل . . . ثم يموت بعدها . (١)

ويروى عن الممتصم أنه كان شديد الإعجاب بأسلوب أبيه ،
و أنه كان يحفظ الكثير من شعره ، فسأل ذات يوم بعض جلسائه : من منكم
يروى قول أبيه : " بلينا وما تبلى النجوم الطوالح " ، فأشده بعينه
الجلساء :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالح . . . وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت في أكشاف جار ^{ورقنية} . . . فقارطني جار بأريد نافع
ويروى : " دار مضنة " ، دار بيروت صادر ، فبلى الممتصم
حتى جرت دموعه وترحم على الأمان ، هكذا كان رحمة الله عليه ، ثم انطلق
ينشد باقيها ، قالوا : ففجبتنا والله من حسن ألفاظه وصحة انشاده
وجودة اختياره " (٢)

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٠٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦

المبــــــــــــــــارــــــــات والأوزان :

=====

القصيدة عند أبيد وحدة متكاملة ، يتم بعضها بعضا ، ويمرر كل بيت لأخيه دون انقطاع أو اقحام ، فإذا رجعنا إلى معظم قصائده وجدنا أنه كان يحسن الاختيار والانتقال من موضوع لآخر ويمرر له ، ففي قصائده الطويلة كان يسلك مسلك الجاهليين من حيث تقسيم القصيدة إلى موضوعات تقليدية ، كما هو واضح في المهلكة وقصيدته اللامية وفي مطولته التي قالها في الإسلام ، على الأرجح يسلك نفس المسلك تقريبا ، وهناك مطلع تلك القصيدة :

ان تقوى ربنا خير نفل . . . وماذن الله ريشى وعجل

يبدأ بالتقوى والوعظ والحكمة ، ثم ينتقل إلى وصف ناقته ، ثم إلى صاحبته تيشبب بها ، ثم عرج إلى الفخر بنفسه ويعود إلى الحكمة ويذكر أهله وعشيرته المقربين ، ثم ينهي قصيدته هذه بذكر أخيه أريد .

كذلك سلك نفس المسلك أو ما يقارب منه في مطولته التي يبدأ أهله

بقوله :

كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا . . . وكانت له خبلا على النأي خابلا

هذا فيما يختص بالمطولات ، ومنهجها فيها منهج الشعر الجاهلي

الذي وصل إليها في صورة المهلكات ، أما القصائد الأخرى فتتوفر فيها

الوحدة الموضوعية ، من فخر ورثاء وحكمة ، ولا يكاد يخرج عن الموضوع الواحد

التمام ، ويبدأ أبدا موضوعه مباشرة دون أن يتلهم ، ويستهل ذلك بالوقوف

خاصیت

على طفل أو مقلد امرأة أو يهود لغرضه بموضوع آخر .

كل ذلك في أسلوب قوي العبارة ^{قوي} رصين التراكيب ، متين البناء ،

لا التواء فيها ولا تعقيد ، مركزة تؤدي المعنى من أقرب طريق ، كما أن عباراته وتراكيبه بعيدة عن الزخرف اللفظي المفرط الذي يبهل السامع والمقارئ ، بشكله دون محتواه .

ومع هذا الشعور الجيد ، والأسلوب الصقيني والمبارات القوية الرصينة ،

ومع هذه الخبرة الطويلة للحياة والممارسة الشعرية، مرحلة عمر مد يد — أمه

ایبید و شکا منه ، وقع صاحبنا فی بعض الأخطاء وزلت قدمه فی العبارات ، فقلنا

١٠٠٠ شاعر جاهل أو متأخر من نقد النقاد ، ووجود السقط واللفظ والتلفيق

فِي شَعْرِهِ ، وَهَذَا جَاءَ فِي شَعْرِهَا جِنَا لِيَدِ بَعْضِ الْعُيُوبِ وَسَقَطَ الْكَلَامُ ، إِلَّا أَنْ

عيوب شهره وسقطات عباراته قليلة لم يقست بالنسبة لغيره من الشعراء

المجروفين ، قال :

وَجِبْوَ
وَجِبْوَ من صبايات الكرى . . عاظم النمرق ^{لحم} عديم البندل

ومجود (ورب مجود) أى جاده النحاسى وألح عليه ، وصبايات الكرى بقية

النوم ، وهذا الايلاء قولہ (ومخوود) فالعبارة هنا ركيكة فضيعة .

ومثل هذا قوله :

أَفْطَى الْمِيَاءِ بِكُلِّ أَدْكُنْ عَاتِقٍ ۞ أَوْ جَوْنَةٍ قَدَحَتْ وَفَضِي خَتَامَهَا

نفسُ الخاتمة ، ولو أنه قال : وقد حث بعد أن نفى ختامها ، إجاز ذلك .

ولكن ذلك لا يخلو في شعره ، ولا يهون من قيمته ، لأن مثل هذه الأخطاء قليلة لو قيست إلى غيره من الشعراء أولا ثم إلى ضخامة إنتاجه ثانياً وإلى الفائدة اللغوية الضخمة في شعره ثالثاً .

أما من حيث الأوزان يعتبر لبيد من شعراء العربية الكبار الذي صاروا على نهج العمود الشعري الأصيل ، فكان يحافظ على وزنه في كافة قصائده سواء تلك التي قالها في الجاهلية أو تلك التي قرأها في الإسلام ، وزن وقافية موحدة وأوزان سليمة خالية من الصيوب والخلل . ويتمثل ذلك في هفائمه التي تبلغ ثمانية وثمانين بيتاً ، وقيل أنها تحفة وثمانون بيتاً فهي من البهر الكامل ، وقافية متحدة وهناك مطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها ^{يكن} . . . تأبد غولها فرجامها .
ومن أشعاره الجميدة قصيدته الالامية ، والتي بلغت ما يقارب الستين بيتاً ، والتي صار فيها على نهج العربية السليمة من الوزن والقافية والعروض ، فهي من البهر الوافر ، وهكذا كان لبيد في كل قصائده الشعرية يحافظ كل المحافظة على عمود الشعر العربي .
غير أنه قد أخذت عليه بعض المآخذ ، ولكن معظم هذه المآخذ ضرورة شعرية وذلك كقوله :

فان حان يوم أن يموت أبوكا . . . فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر
فنزل عند الضرورة الشعرية فسكن منصوبا " شعر " وحققها النصب " شعرا "

• وإن الضرورة الشعرية لا تجبر شاعرا فحلا كلبيد •

وقال :

متى تحد أمرا سي وراء وسيقتي •• يصرم عقل الحق الذي هو صائر

تجمعتها بعد الشتات فأصبحت •• لدى ابن أسيد مؤنقات الخناجر

فقد جاءت كلمة (الخناجر) مخفوضة ، بينما حركة روى القصيدة - الرفع -

وهو ما يطلق عليه " الإقواء " ، ولو أن البيت قرئ " مؤنقات خناجر "

لجاز ذلك عروضيا •

كما أخذ عليه عيب عروضي آخر في قوله :

درس المنا بمقال فابان •• وتقدمت بالحبس ^{قالبه} _{فالمسحان} (١)

فإن كان يريد " بالمنا " - النازل - أي بحذف جزء من الكلمة ، عد

ذلك عيبا عروضيا ، وهو ما يطلق عليه النقاد - بالتثليم - ، وأما إذا كان

المقصود " بالمنا " - المنى - بمعنى الحذاء ، يقال ^{داري} _{داري} بمنى دار

فلان ، فكانه قال درس المحاذي المتالع ، فإن ذلك لا يعتبر عيبا ،

لأن الكلمة والحالة هذه سليمة لا حذف فيها •

الباب الثالث

== ==

((شاعرية لبيد))

.....

يتمتع لبيد بمكانة أديينة لا بأس بها ومنزلة محترمة بين شعراء عصره ،
وفي نفوس الأدباء والمؤرخين ، فقد عده أبو عبيدة محمربن المثنى في الطبقة
الثانية مع الأعشى وطرفة ، ووضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة مع نابغة بنمسي
جعدة وأبو ذؤيب الهذلي والخطاح بن ضرار .
فشعره كان ولا يزال متداولا على أفواه وألسنة الرواة والأدباء والمعلماء
والأمراء والوزراء ، وقد قدمه بعض النقاد القدامى على شعراء الجاهلية والاسلام ،
فقال عنه : " انه أفضلهم في الجاهلية والاسلام وأقلهم لغوا في شعره " (١)
كما جعله هذا الناقد في المرتبة الخامسة من فحول الشعراء ، بعد
امريئ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى ، وذكر ابن رشيق
أن الشاعر ذا الرمة كان يفضل لبيدا على امريئ القيس والأعشى وزهير والنابغة . (٢)
وقد سبقت الإشارة الى رأى الأهمى في شعر لبيد ، كما أشرنا الى
مقابلة لبيد مع النابغة الذبياني عند باب النوطن عندما استنشدته وكيف أنه
قال له : " اذهب فانت أشهر العرب ، وهناك قول للبيد نفسه يمين مكانته
بين الشعراء ، ولا يخلو فكره من طرافة وفائدة ، قيل : مر لبيد بالكوفة على
مجلس بنى نهد وهو يتوكأ على محجن له ، فبعثوا اليه رسولا يسأله عن أشعر
العرب فسأله فقال : الملك الضليل ذو القروج ، فرجع فأخبرهم ، فقالوا :
هذا امريئ القيس ، ثم رجع اليه فسأله : ثم من ؟ فقال له : الغلام المقتول
من بنى بكر ، فرجع فأخبرهم ، فقالوا : هذا طرفة ، ارجع فاسأله ثم من ؟

(١) جمهرة أشعار العرب ج ٣ ص ٦٤ ، أبو زيد القرشي ط . مصر ١٩٢٦

(٢) الحمدة ص ٦٢ ابن رشيق .

فسأله فقال : ثم صاحب المحجن ، يعني نفسه . (١)

وفي رواية أخرى أنه ميز نفسه بقوله :

اے تقویٰ رہنا خیر نفل ••• ما از ن اللہ ریشی و عجل

أحمد الله فلا نند له .° بيديه الخير ما شاء ففعل

من هداه سبيل الخير اهتدى • ناعم البال ومن شاء اضل (٢)

ومع ذلك فقد اختلف النقاد في تقدير حمرة خضهم من رآه سهل المنطق

رقيق الحواسي ومنهم من عده مثالا لخشونة الكلام وهجومه الكلام ، وأل من الذين

الفریقین ينظر الى شجرة من زاوية معينة ، فأما الذين وصفوه بالرقّة والسهولة

فقد نظروا الى أشعاره ذات السمات الدينية كما نعتقد ، لأنه شعر ليس

سهل يفوق منه ايمان الشاعر وتقواه وقوة ايمانه بالخالق وأما الذين وصفوه

بِالْخُشُونَةِ فَنَظَرُوا إِلَى شَعْرِهِ الَّذِي يَمُورُ فِيهِ مَظَارُ الْحِجَرَاءِ وَفَتَخَرَّ بِأَمْسَاهِ

وأيام قبيلته وذلك لأن عمره هذا شعر نجدى غني بالثروة اللغوية الحية ،

وتتمايز بالفصاحة والبيان ، وفي ضخامة الألفاظ وقوة التراكيب فهو غريب بالنسبة لهم

ولانه شيء طيبى وتأهل في الشاعر فهو حينذاك يعبر عن بيئته الصحراوية

التي عايشها ، فهو اذن لم يخرج عن مألوف الحياة العربية الجاهلية فقصده

جسدہا اچمل تجسید و میر عنہا اچمل تعبیر و کان یحب علی شولاء ان یتاکدوا

من أن هل استطاع الشاعر أن يترجم بيئته تلك ترجمة صادقة ؟ وهل كان

خارجاً عن المؤلف لدى الأعراب ؟ وانا نرى أنه كان متمشياً مع حياته

البدوية البسيطة وأنه أحسن التعبير والترجمة لها ، وأنه في مجموعة أشعاره

قد أخذ العلماء منها ألفاظاً عربية ثمة ، بل انها حفظت لنا ثروة لغوية

ازدانت به الفة الفاء .. الخ

الفصل الأول

مضاهي
شعراء من شعرة فسي كل من الجاهلية والاسلام

=====

أولا : مضاهي شعرة في الجاهلية :

ذكرنا سابقا أنه غلبت على لبيد الرواية القاطلة بأنه هجر الشعر وأهل
الاسلام شعرة ، ولذا لم يكن من الشعراء الذين قامت عليهم الدراسة وتناولت
شعرهم العناية ، مما دفع بمصطفى العلماء والمؤرخين بالنكوص عن هذا ولادة
دراسة إنتاجه وفهمه والوقوف على مضاهي شعرة واستخراج درره ، ولقد كان
للزمن الطويل أثره القبيح في تفضية شعر لبيد بشتار كشف من الالهال والنسيان ،
اللمهم الا قلة قليلة من بين الأدباء والمؤرخين ، عرفوا مكانة الرجل ووقفوا على
هضمتهم وميزات شعرة ، ومع هذا لم يحطوا بحقه من الدرس والمكانة اللائقة به
بين أمثاله من الشعراء المجيدين .

ولقد جاء ذكر ديوانه في الفهرست ، وقام بشرحه كثير من علماء اللغة
أمثال : الأصمعي وابن السكيت وعلى بن عبد الله الطوسي تلميذ الاعرابي ،
وقام يوسف هنياء الدين الخالدي بطبع شرح الطوسي في - فبيننا - عام ١٨٨
ثم جمع (انطون هور) بعض قصائد لبيد في ديوان مع مقدمة في حياة لبيد
باللغة الألمانية .

وان الدارس المتخصص لشعرة لا يقف محببا أمام شاعرية فذة وشعر
جميل يترك أثرا وهدى ووقفا في النفس المحببة . . فهو شاعر مجيد بلغ حدا
كبيرا من الاجادة والاعتقان والابداع .
ولم يجد القدماء والمتأخرون السط ولا السفاس الذي هو في

فان لبيدا قد افتخر بالجود والفروسية مها ، وهاتان خلتان محبوبتان عند
العرب .

وقد روى الرواة بأنه رجل كريم وفارس مقدم (١) ، فهو عندما
يفتخر بنفسه فانما يفخر عن صدق ، وتحقيق الواقع مشهود لقومه وأهله وعشيرته ،
فقد اتفق الرواة على أنه كان شاعرا قومه ، يدافع عنهم ، ويمتدح فعالهم ، ويروى
أعجابه وآثارهم ، وهو في هذا يمثل الرجل العربي المحتر بقبوه ، فاذا تخنى
بحياته ومكارمه ولهوه واسرافه في معاقرة الخمر وانفاقه فيها ، فرغ عندئذ الى عشيرته
ففخر بهم ووصفهم بما هم أهل له ، من الكرم والجود والنجدة والبأس وقسوة
السلطان ، فقال في معلقته مفتخرا بهم ومعتزتهم ومكانتهم الرفيعة ، قال :

ومقسم يحطى المشيرة حقها . . . ومغذمر لحقوقها هضامها
.....

من معشر سنت لهم أبأؤهم . . . ولكل قوم سنة وأمامها . . الخ .
وقد قال لبيد كثيرا من الشعر في الفخر ، بل له قصائد ^{بالله} ملة كلها
في الفخر لا ينتقل الى غيره ، ونذكر هنا بعضا من فخره ليفي بالحاجة ، قال يذكر
كرمه ونخره الجذور :

وجزور أيسار دعوت لحتفها . . . بمغالق متشابه أجسامها
أدعوبهن لعاقرا أو مطلق . . . بذلت لجيران الجميع لحامها

وقال يفتخر بمقامه بين يدي الملوك وما له من يد سابقة على آل عامر :

وحملت قومي اذ دعيتي عامر ••• وتقدمت يوم النبيط وفود
وتدأكات أركان كل قبيلة ••• وفوارس الملك الهمام تذود

يوم النبيط : هو يوم الأفاقة •

هذا •• وقد افتخر الشاعر بالمناظرة التي جرت ألام النعمان

قال :

ولدي النعمان مني موطن •• بين فاشور أفاق فالدخل
اذ دعيتي عامر لأنصرها •• فالتقى الألسن كالنبيل الدول
فرميت القوم رشقا صائبا •• ليس بالعصل ولا بالمقتل (١)

بلغ به الكرم أنه يحطيه من لا يوده ، فيقول :

واني لأعطي المال من لا أوده •• وأبسر أقواما على الشنان

وقال معتزا بجلده وأبناء عشيرته :

فلا تبغيني ان أخذت وسيقتي •• من الأرض الا حيث تبغى الجهافر
أولئك أدنى لي ولا •• ونصرهم •• قريب اذا ما صدعني المماشر (٢)

يقول : لن تجدني الا واحدا من قومي بنى جعفر لا أشد عنهم ، وسأكون
منحازا لهم بعد أن كان انحيازي اليك قد جعلهم يخافون الظن بأنني ابتعدت
بمشاعري عنهم ، وأولئك أقرب اليّ ونصرتهم واجبة لي اذا ما ابتعد عنسي

(١) الديوان ص ١٤٧ دار صادر بيروت •

(٢) المرجع السابق ص ٦٦

الآخسرون :

ولا أريد أن استطرد القول وأطول فيه ، ولكننا أردنا اثبات أن لبيدا
كان كثير الفخر بنفسه ومقومه لدرجة الافراط في بعض الأحيان ، وذلك مثل
قوله :

وان سألوا عنا لدى كل غارة . . . فقد ينهني الأخبار من كان سائلا
ولكى نثبت له هذه الخاصية في العصر الجاهلي والتي عكف عنها بعد اسلامه .

٠٠٢ الرثاء :

=====

ان معظم رثاء لبيد منصب على أخيه أريد بن قيس الذي قتل فسي
حادثة أثر سقوط صاعقة عليه ، أثر دعاء الرسول الكريم عليه وعلى عامر بن الطفيل ،
وقد أثبتنا آنفا أن بكاءه وحزنه على أخيه كان في بداية اسلامه ، أي أن رثاء
لأخيه كان ولبيد مسلما ، لذا فلننا نؤجل ذلك الى حين آخر ، ونتناول
رثاءه في الآخرين قبل اسلامه وقبل أن يدخل الايمان قلبه .

قال في عمه أبي براء مالك بن عامر - ملاعب الأسنة - وهي ممن
أراجيز النواح ، وكان عمه قد شاخ وخالفت بنو عامر وأموه واتهمته بحمزوب
المقل ، فشرب الخمر ثم اعكأ على سيفه وقتل نفسه :

قوموا تجهزوا مع الأنسواح
في ماتم صهجر السروح
يخمشن حمر أوجسه صحاح
في السلب السود وفي الأمصاح

وأبنا ملاعب الرمح (١)

نراه يأمرهما بقد القمص وأن تبكيا واقفتين لأن نواع العرب في الأكثر يكن قياما ،
 في ماتم موصول هجيره برواحه أى متواصل ، في ثياب سود وأخرى من الشعر ،
 تبكيان على ملاعب الأسنة ، وقد سماه الشاعر ملاعب الرمح وإنما المشهود من
 لقبه " ملاعب الأسنة " ، ويدوأن قافية الرجز ألزمت ذلك •

وتال يرثى الطفيل ، ولحمل المراثى هنا هو عمه الطفيل بن مالك :

لما أتاني ^{ابن} من طفيل ورهطه ••• مددوا فباتت غلة في الحياض

إلى لما بلغنى ذلك عن طفيل ورهطه باتت حرارة الحزن تتقد في صدرى (٢)

فهو عندما يرثى يصب حزنه صبا ، رثاء ملئ بالبكاء والنواح والألم
 والفجيعة والأنين ، وشاعرا لا يكتفى باظهار عواطفه الحزينة ولوعته على المراثى ،
 وإنما يدعو الآخرين للمشاركة في ذلك ، ليرينا بأن البلوى عامة تشمل القوم
 والعشيرة ، بقدرته الفنية الفاتحة في تحريك مكان الحزن والألم في مشاعر
 الآخرين ، فشعره يصب اليأس في القلوب من غير ضعف ولا وهن ، ويصور
 الحزن تصويرا مجسدا •• الخ •

(١) الديوان ص ٤١ دار صادر بيروت •

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣

٠٠٣ الهجاء :

=====

لم يكن لبيد شاعرا مطبوعا على الهجاء ، ولا على جرح القول المثلّم
 للعرض ، فان طهيته السمحة تدبى عليه ذلك ، ونفسه الكريمة ترفض أن تنزل
 الى هذا الدرك المشين ، ولكن من الثابت أن له مقطوعات فى الهجاء ، وأراجيز
 يهجو بها أحيانا ، وهجاؤها دى متزن ، لافحش فيه ولا اقتناع ، اللهم الا أرجوزته
 فى هجاء الربيع بن زياد الحبسى التى أشرنا اليها سابقا ، ومعض أبيات أخرى .

قال يهجو الربيع بن زياد فى مجلس النعمان :

مهـلا أبـيت اللـعن لا تـأكـل مـهـهـ

ان اسـته من بـرـص مـمـهـ

وانـه يدخـل فـيـها أصـمـهـ

يدخلـهـا حـتى يـؤـرى أشـجـهـ

كأنـهـا يـطـلـب شـيـط ضـيـمـهـ (١)

أما بقية هجاء فانتا لو تتبعمناه لوجدناه لا يتجاوز وصة النخيل بالجبن

أو التكويس عن الممارك وحمى الديار كقوله وهو يحنف بعض قبائل بني عامر ^{بقبيل} ~~ويهمهم~~
 بـمـدـم الحـفـاظ مـقـبـول الـديـة :

ولم تحم عبدالله ، لادر درها . . على خير قتلاها ، ولم تحم جعفر

ولم تحم أولاد الضباب كأنهـا . . تساق بهم وسط الصريمة أبكر (٢)

(١) الديوان ص ٩٣ - ٩٤ دار صادر بيروت ، والخزانة ١٧١/٤ ط ٠ بولاق .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣ .

وعبد الله هم : بنو عبد الله بن كلاب ، وأولاد الضباب هم : أولاد معاوية بن كلاب ، وهؤلاء ولبيد من بني عامر .

ولما تناظر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، دعا عامر بن الطفيل

لبيدا لينتصر له ويسب علقمة ومن معه ، قال :

لما دعاني عامر لأسببهم . . . أبيت وإن كان ابن عيماء ظالما

لكيما يكون السندري نديدي . . . واجعل أقواما عموما عما

وأنبش من تحت القبور أبوة . . . كراما هم شدوا على التماثما

ويقول فيها :

بلى : أينما ما كان شرا لمالك . . . فلا زال في الدنيا ملوما ولا ثما (١)

وابن عيماء : هو السندري ، وعيماء أمه أو جدته ، ويروى : ألا أينما ، وفي البيت الرابع هنا رد على السندري حين قال : " أنا لمن أنكر سموتي السندري " (٢) ،

ورد على قول قحافة بن عوف بن الأحوص وكان مع علقمة :

أنتم هزلتم ^{هزلتم} عامر بن مالك . . . في سنوات مضر الهوالك

~~يا شرا ما شرا~~

يا شرا ما شرا

(١) الديوان ص ١٩٩ دار صادر بيروت .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩

٠٠٤ الحكمة :

=====

ان الحكمة لم تكن من الأغراض في الشعر الجاهلي ، فقد كان
الشعراء يتمرضون في ختام قصائدهم الى بعض أبيات فيها وعظ وارشاد ونظرات
في الحياة ^{يستمدونها} يتخذها الشاعر عن تجاربه الخاصة أو من تجارب الآخرين ^{مما}
تمدهم البيئة الصحراوية القاسية ، وانها لم تكن غرضا مقصودا من أغراض الشعر ،
وقد انفرد بعض الشعراء الفحول بالاكثار من ذكر أبيات حكيمة ، كزهير بن
أبي سلمى وعدى بن زيد العبدي ، وصاحبنا لبيد وغيرهم .
وقد أشرنا الى حكم ومصاني لبيد في الباب الثاني ، وقلنا
باختصار أنه استمدها من ^{شعرهم} مشهورين أساسيين :

(١) حياته الدينية .

(٢) حياته البدوية البسيطة .

ولا أرى ^{واجبا} واجبا للتكرار .

ولننصرف هنا مثالين ليغيا بالحاجة ، قال :

نوائب الدهر من خير وشر كلاهما . . فلا الخير محدود ولا الشر لا زب

ويروى " الشار " بدلا من الشر .

وقال مشيرا الى قول قيسين ^{قسي} مساعدة الأيادي : :

هل الغيب محطى الا من عند نزوله . . بمال مسمى في الأمور محسن

وما تولى فهو لا شك فائت . . فهل ^{نفسه} ينقضي ليتنى ولعلنى (١)

٠٠٥ الوصف :

=====

ان الوصف في الشعر الجاهلي لم يكن أيضا مقصودا لذاته ، ولكنه كان يأتي عرضا ومشكلا تقليدي ، اما عند تعرض الشاعر لوصف رحلة أو سفرة أو راحلا عن دار الألفة أو عندما يشعر أنه وحيد ^{فقط} في الصحراء والقفار أو يشعر أنه في أشد الحاجة الى اللهو والطرب فيوجه حديثه الى ركوبته التي تشاطره الحب والكد ، فيتحدث عنها وعن حركاتها مشبهما ذلك بما يقابله خلال رحلته من هضاب وسحاب ، أو يصف وحشا فاجأه في الطريق ويصف الحمارك بينهما وكيف أنه تغلب عليه ونال منه . . . الخ . . .

وكان وصف لبيد وقيفا متينا قويا رصينا ، فهو يدقق في وصفه الصورة ويمعن النظر ويقدم الفكر ، وقد تناول وصفه الطبيعة الصحراوية وما قصيده - الالامية - الا دليلا على ذلك . .

ووصف ناقته فأبدع الوصف والتصوير ، وقد تكلمنا عن ذلك عند تعرضنا للمعلقة ، كما أنه وصف الديار وصفا مبدعا رائعا نظرا لما لها في نفسه ونفس كل من كان على شاكلته من الهدوء والصورة الحلوة التي تبشئها الذكريات اللذيذة .

قال يصف حصانه :

المقبل

٠٠ صاحب غير طويل المحتل

ولقد أغدو وما يفد مني

٠٠ مضطرب الحمارك محبوبك الكفل

سأهم الوجه شديد أسره

بأجش الصوت ^{يصوت} ^{يحب} إذا . . . طرق الحى من الخزل صهل (١)
 أما الديار فقد فصل لبيد فى ذكر أماكنها وعددها ووصف حالها
 بعد رحيل الأحياء والأهل والأصحاب ، وقد أصبحت مساكن للوحش والأطباء ،
 قال فى المعلقة :

عفت الديار محلها فمقامها . . . ببقى تأبد غولها قرجامها
 فمد أفع الریان عرى رسمها . . . خلقا كما ضمن الوحش ^{الوحش} سلامها
 يقول سائر ^{سائرا} هذه الديار :
 فوقفت أسألها وكيف سألنا . . . صما خوالد ما يمين كلامها
 عريت وكان بها الجميع فأبكروا . . . منها وغود رنؤيها وشامها
 يقول فى ديار أسماء :

عفا الرسم لم لا ، بعد حول تجربا . . . لا أسماء رسم كالصحيفة أعجبا
 لا أسماء إذ لما ثقتنا ديارها . . . ولم نخش من أسبابها أن تجذما (٢)
 —————
 . . .

فمن هذا الموضوع الوجيز لقنن لبيد الشعرية فى حياته الجاهلية
 ومن خلال هذه الأغراض التى سلك لبيد فيها مسلك الجاهليين ، يمكن لنا
 أن نتبين أهم خصائص وسمات شعره فى ذلك العصر ونقف على ميزاته .
 فخر واعتداد بالأنفس ، وبأنه كان نحارا للجزور ليطمع الأضياف

(١) الديوان ص ١٤٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦٥

والجوار والمطفل التي كثر ولدها ، ولبيد في هذا صادق كل الصدق ، حيث كان لبيد من الأجواد الكرماء المدودين ، فقد نذر أن يطعم ^{بفكر} ~~ونحس~~ ما حبت الصبا ، وأدام ذلك في جاهليته وإسلامه ، لدرجة أن ربح الصبا ^{أصبحت} ~~أصبحت~~ مقرونة باسمه ، قال الوليد بن عتبة بن أبي محيط وكان والي الكوفة فهبت الصبا وهو يخطب الناس ، موينا هو كذلك إذ بها تهب من ناحية الشرق :

أرى الجزار يشحفر شفرته . . . إذا هبت رياح أبي عقيل (١)

واقتزار بالمشجاة والاقلام والمثمة ، وبأنه كان ذا فضل على قومه في جمع ^{سكنهم} ~~سكنهم~~ وتوحيد صفوفهم قال :

ويم منعت الحي أن يتفرقوا . . . بنجران فقرى ذلك اليوم فامرئ (٢)

والى جانب هذا الفخر الشخصي ، نجد أنه كان كثيرا ما يفخر بقومه وعشيرته وأهله المقربين ، كثير الاعتزاز بهم وذكر أحسابهم وأنسابهم وبأنهم من عشيرة ذات نجدة وبأس وقوة وسلطان ، وقد يذهب به ذلك الى درجة الافراط والتنبية عليهم . قال :

وان تسألوا عنهم لدى كل غارة . . . فقد ينبأ ^{ينبئ} الأخبار من كان ~~جاهلا~~ (٣)

وهجاء هادي متن خال من لذع القول وثلم أعراسي الآخرين ،

(١) الكامل ج ٢ ص ٥٢ المبرد .

(٢) الديوان ص ٦ دار صادر بيروت .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٢

وهجأوه لا يتعدى وصمة الآخرين بالجبن والتخاذل والتقص ، اللهم
 إلا أرجوزته ^{أرجوزته} في الربيع بن زياد الهمسي ، وقد تعرضنا لها سابقا ،
 وأرجوزته في ضمرة بن جابر من سادة بني نهمشل ، وقد انحاز
 الى جانب الربيع بعد أن رجز به لبيد وأفسد عليه نفس صاحبه النعمان
 وكان ضمرة أبرص ، وكان بنو كلاب قد أسروه في بعض أيامهم ومنوا
 عليه بالاطلاق ، فلما أخذ جانب الربيع قال لبيد يرجزه :

يا ضمر يا عبد بنى كلاب
 يا أيـر كلب علق على باب
 تمكـوا ^{هـــــ} استه من الخـر الغـراب (١)

والشطر الأخير منها يشير الى شدة الخوف والفرج والوعب .
 وغزل مشوب بالفنور خال من العواطف الملتزمة التي تضيئ
 المحبين ، ورثاء قوى رصين ممزوج بالحكمة والحطة ، لأن ذكر الموت تدفع
 الانسان الى التفكير والتبصر ، والحكمة من وجود الانسان ومقصده ومصيره
 وأهدافه وغاياته . الخ .

وحكمة مستمدة من البيئة البدوية القاسية ، ووصف دقيق
 رصين وصور منزوعة من البيئة والمشاهد اليومية . الخ .
 جاء ذلك كله في أسلوب قوى رصين مثنى الديباجة ، وأن

ألفاظه قد غلبت عليها صبغة الهداوة النجدية الخشنة والتي تميزت بالجزالة ،
وتراكيب قوية البناء لا التواء فيها ولا تمقيد ، مركزة تؤدي المعنى من أقرب
طريق بعيدة عن الزخرف ، ويلاحظ أن مسلكه هو مسلك الجاهليين
كما نبهنا سابقا ، من حيث المنهج ، فلم يكن الشاعر يتناول موضوعا
واحدا في القصيدة ، بل كان يحشد فيها موضوعات متعددة يمثل كل
منها غرضا مستقلا ، فهو يبدأ قصيدته غالبا بالفضل أو ذكر الأهل
الدوارس ومكاء الديار ، ثم ينتقل الى وصف ناقته أو فرسه ، ويسـتـتـرـد
أحيانا الى وصف الرحلة وما صادفه فيها من حيوان بريّة ، وما هــاـنـاـه
من مخاوف ، وقد يخلق الأقسام ^{الدواوير} في بعض الأحيان ، ثم ينتقل
الى الخروفي الرئيسي ، وورد ذلك كله في مهلكة صاحبنا لبيد .

الفهرس

خصائص شجرة الاسلام

===

تذكر الروايات أن لبيدا امتنع عن قول الشمر بعد اسلامه ، وأنه

لم يقل الا بيتا أو بيتين •

وتذهب الأخبار كذلك الى أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله

عنه ، أراد أن يمتحن الشمر ، ويسأل عما أحدثوه من الشعر في الاسلام ،

فكتب بذلك الى المخيرة بن شعبة واليه على الكوفة ، فسأل الأغلب فقال :

أرجزا تريد أم قصيدا •• لقد طلبت هينا موجودا

ثم أرسل الى لبيد فقال إنشدني ! فقال : ان شئت ما عفى عنه

(يعنى الجاهلية) فقال : " لا أنشدني ما قلت في الاسلام ؟ فانطلق فكتب

سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها فقال : أبدلنى الله هذه في الاسلام مكان

الشمر " (١) الى آخر القصة •

هذا ما ذهب اليه المتقدمون من المؤرخين وكتاب الأدب ، وقد

شايهم أكثر من كتب عن لبيد من المتأخرين ^{نقل} عن المتقدمين ، فقال القرشى :

" وبعد أن أسلم لبيد أمثلات نفسه بهدى الاسلام فزهده وتمسك ثم هاجر الى

الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام فيها منقطعا الى البر والخير

والتقوى وقد جمع القرآن " (٢) ، وانصرف اليه وعد من القراء • (٣)

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٩٨

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣١ أبو زيد القرشى •

(٣) الأغاني ج ١٥ ص ٢٩٩ الأصفهاني

هذا لا يبنى أنه قد ترك الشمر نهائياً ،
بل أنه لم يعد متحمساً لقول الشعر كما كان
قبل الاسلام ، وأنه لم يتركه كما زعم معظّم
الرواة الفـلـاة •

وقد أثبتنا تركه شمرياً للبيد ليست حينئذ
في الاسلام ، وأما سنحاول معرفة خصائص وسمات
تلك التركة الشمرية في الصفحات التالية •

بعد أن آمن لبيد برسالة أفضل الخلق محمد بن عبد الله صلوات
الله وسلامه عليه ، ودخل نور الهداية قلبه واهتدى بهدى الدين الحنيف ،
انفتح قلبه لتلك المهادئ الانسانية العالية ، فهدب الاسلام من غلوائه
وحد من عصبيته ، وتخلّى عن الروح القبلية الضيقة التي كانت متأصلة فيه ،
لأن الاسلام نقر من النمرة القبلية ودعا الناس كافة الى التآخي والمساواة لافرق
بين عربي وعجمي الا بالتقوى ، فلا تفاخر باحساب وانساب . . . الخ .
فطمأن الاسلام عواطفه الثائرة وأسلس نفسه النافرة وأعاد اليه
الأمن الذي سلبته احقابا طويلة ، وارتمى عقله ونما تفكيره ، وتبدلت أحواله
كثيرا عن ذي قبل ، وهالك بعض الفنون الشعرية للبيد المسلم :

١- الحكمة :

=====

سبق^١ أن تكلمنا عن الحكمة التي استمدتها الشاعر من بيئته الصحراوية
البدوية الجاهلية ، وسنحاول أن نبين الخطوط الحكيمة التي استمدتها الشاعر
من دينه الاسلامي والذي ترك آثارا واضحة في نفسه وانعكس أثر ذلك في
شعره .

قد وردت في ديوانه الأبيات :

ان تقوى الله خير نفل . . . ماذن الله ريثي وعجل
أحمد الله فلا ندد له . . . بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدي ناعم البال ومن شاء أضل (١)

هذه الممانى الحكيمة أثر من القرآن الكريم ، فلو لم يكن لبيد قد
قرأ قول الحق جلّت قدرته : " ليس كمثله شيء " ، وقوله سبحانه : " وما تشاءون
إلا أن يشاء الله " ، وقوله : " يضل من يشاء ويهدي من يشاء " ، لما
استطاع طرق هذه الممانى الحكيمة الرصينة وتلك المحطات الجليلة ، وقوله :
رأيت التقى والحديد خير تجارة ••• رباحا إذا ما المرء أصبح ذا قلا
وهل هو إلا ما ^{ما ينبغي} ~~التي~~ في حياته ••• إذا قذفوا فوق الضريح الجناد لا (١)
أى أن التقوى والحمد ^{الفضل} ~~للفضل~~ وأريج وأعظم شيء تنفع الإنسان في دنياه
وأخرته ، ولا ينفعه إلا ما قدمه مما يستحق الذكر الحسن ••• والبيت الأول يعيد
الأذهان الى قوله تعالى : " فما رحمت تجارتهم " ، والبيت الآخر مقتبس
من قوله تعالى : " وإن ليس للإنسان إلا ما سعى " صدق الله العظيم .
ثم نتمن قوله :

حمدت الله والله الحميد ••• والله المؤئل والحديد
فان الله نافلة تقسا ••• ولا يقاتلها لا سعيد
أى أن ما نتفاخر به من محامد ومكارم ليس شيئا بالنسبة الى ما يملكه
الله تعالى ، وإن الله يهب التقى لمن يشاء ، ولا يستطيع أن يحرز هذه التقوى
إلا سعيد ••• وهى حكم بليغة تنبه الإنسان الى عجزه وضعفه أمام قدرة الخالق
المهيمن والمانع والمانع ، فلا يستطيع أحد ذلك سواء ، وقال :
الماء والفيضان من آياته ••• فيمن موعظة لمن لم يجمل

الى غير ذلك من الحكم المستمدة من أى الذكر الحكيم التى تشربت بها نفسية

لبيد الورقة . . . الخ .

٢- الرثاء :

=====

سبق أن تكلمنا عن رثاء الجاهلى ، وأظهرنا خصائصه وسماته ،
والآن نريد الوقوف على رثاء الاسلامى ، فثأفه الاسلامى يكاد ينحصر فى رثاء
أخيه اريد ، فقد مات اريد وأسلم لبيد بعد وفاته بقليل كما أشرنا آنفا ، وظل
يرثيه دهورا ، بشعر فيه حزن لبيد ولوعته على أخيه ، وفيه حسرتة ولوعته وبأسه ،
وعواطفه الملتاعة على فراق قرن كان السند لأخيه ، ولو استقرأنا شعره الرثائى
وجدنا فيه رقة المواطف وطبيعة الحزن المفجع والبكى ، ووقفنا على أساليب
التعزية والكلام ^{التي} ~~التي~~ والحكم العامة نظرا لما يثيره ذكر الموت عن مصير
الانسان وعن أهدائه فى الحياة وسبب وجوده .

وقد أعجب القدماء بشعره فى الرثاء ، لما وجد فى شعره من المعانى
الحكيمة السامية ، فقد عده ابن سلام فى طبقاته من الرثائيين الأربعة المتقدمين
عنده ، قال راثيا أخاه :

وما المرء الا كالديار وأهلها . . . بها يوم حلّوها وفكوا ^{وعزوا} وبلاقع

وما المرء الا كالشهاب وضوءه . . . يحور ^{ما حار} رطحا ان هو ساطع

وما المرء الا ^{صغير} ~~صغير~~ من التقي . . . وما المال الا معصرات ودائع (١)

وقد بلغ لبيد قمة الرثاء لأخيه ، وقد صور فجيعة تصويرا مفجعا

مبكيا ، ووصل الى مالم يهله شاعر من استنزال الدمع واثارة الشجن ، فيخاطب

ابنة أخيه اريد فيقول :

اروعا

يا صي قومي في المآثم واندبى °° فتى كان معن ييتنى المجد اروعا

وهي هذه ربما كانت ابنة اريد المخاطبة في قول الشاعر :

فاويعا

لعمرابيك الخير يا ابنة اريد °° لقد شفى حزن اصاب فأوجعا

فراق أخ كان الحبيب فقاتنى °° وولى به ريب المنون فأسرع

فضنى اذ اودى الفراقى باريد °° فلا تجمد أن تستهلا فتدما

ويذهب أحيانا في رشاء الى ذكر سبب وفاة أخيه اريد فيقول :

أخشى على اريد المحتوف ولا °° أرهب نوء السماك والأسد

فجمنى الرعد والصواعق بال °° فارس يوم الكريمة النجد

أى كنت أخشى عليه كل سبب من أسباب المنية ولكنى لم أتصور أن الطاعنة

ستكون هى السبب ، ففجمنى الرعد ببطل شجاع ذى نجدة ونخوة يوم اللقاء °° الخ .

ولم يكتف صاحبنا بأن يرثى أخاه بقصائد فحسب ، وإنما أراد أن

يحبر عن فجيئته وحزنه العميق عليه بأراجيز أيضا .

انسح الكريم للكريم أريدا

انسح الرئيس للطيف كبدا

ولا يقف عند حد وصف أخيه بالمطوف الرحيم ، بل يذكر أن أخاه

كان ذا مآثرة فى الجود والكرم وأنه كان يقدم الجفان للأضياف ، فيقول فى

نص الأرجوزة :

وملا الجفنة ملأ مددا (١) على الخ .

آب الفخر والمجدا :

الفاتحة بحمد الله

بعد اسلام لبيد وايطانه بما أنزل على أفضل الناجات ^{بالحمد لله}
 وسلامه عليه ، ^ك كبرج الدين من عواطف الجامعة ، وأسلم نفسه النافرة ، وأهاسيت ^{عجله}
 الثائرة ، ففكف على كتاب الله يقرأه ويتلو ويتفهم ويتمن في مطاله ^{عجله}
 وفعله ، عكف عن صناعة الفخر والهجاء ، وذلك للأثر العميق الذي تأثر به ^{بصلته}
 من قراءة وتلاوة القرآن الكريم ، فقد تركه ^{البر} الدين أثراً ^{محضاً} دينا في نفسه ، وإن كان ^{كان}
 لبيد لم يفخر بقوة في الاسلام ، فانه لا يتباعد ^{بسر} سيرهم وذكرهم والدفاع عنهم ، وكان ^{كان}
 يتصدى لمن أراد أن يثلب أعراهم ^{ونفسه} يثلبهم أو يحاول النيل منهم ، فيدافع عنهم ،
 فقد روى الرواة قالوا : " لم يسمع من لبيد فخر في الاسلام غير يوم واحد ، فانه كان في
 رجوة غنى مستلقياً على ظهره وقد سجد نفسه بشبهه إذ أقبل شاب من غنى فقل : " قبح ^{رخصته}
 الله طفلاً حيث يقول :

جزى الله عنا جعفراً حيث أزلت . . بنا نعلنا في الواطئين قزلت
 أيوا أن يملونا ولو أن أنسا . . تلاقي الذين يلقونا منا لملت
 هم خلطونا بالنفوس ولجأ . . الى حجرات أدغات وأظلمت
 ليت عصى ما الذي رأى في بني جعفر حيث يقول هذا فيهم . . ؟ قالوا " فكشف
 لبيد الثوب عن وجهه وقال : " يا ابن أخي انك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطة
 يدعون بعضهم على بعض ، ودار رزق يخرج الخادم بجرايم ^{بحرايم} فتأتي برزق أهلهم
 ويث مال يأخذون منه ^{اعطتهم} أعانتهم ولو أدركت طفلاً يوم يقول لم تلمه ، ثم استلقى وهو ^{سلفه}
 يقول : " استغفر الله فلم يزل يقولها حتى نام " (١)

مجلس

عقبة

ويروى أن أليدا حضر يوماً مجلساً من مجالس الوليد بن عقبة

فسأل الوليد أليدا عما كان بينه وبين الربيع بن زياد عند النعمان ، فأجاب أليدا

بقول ينم عن شعوره بأن العهد الجديد لا يرتضي كثيراً من سنن الجاهلية وما دأبها

من فخر وهجاء ، فقال : " فقد كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام ،

فألح عليه الوليد ، وكانوا يرون كعزة الأمير ^{حقاً} ، فسار يحدثهم ، فحسده رجل

من غنى ، فقال : " ما علمنا بهذا " ، قال أليدا : " أنطى يا ابن أخى لم يدرك

أبوك ^{ذلك} ، وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيحدثك " (١)

والواقع ^{النفس} ^{الفن} أن قول أليدا فيه كثيراً من التمسك والتحقيق وفيه أيضاً ^{الكثير} من

الفخر والزهو ^{الزهد} بمجالس النعمان ، وإن اضطره الموقف إلى ذلك .

مجالس النعمان

موازنة بين شعره في المصرين

=====

من الواضح أن شعره في الاسلام لم يرق أمم شعره في الجاهلية
 ذلك الشعر الرصين ، القوى التراكيب المتين الديباجة ذوالأغراض المتعددة ،
 وأن لبيدا قد ^{دهش} أمم كتاب الله الكريم المحجز (١) ، وروع ببلاغته
 الحظيمة ، ووقف عاجزا أمام هوره البليغة ، وأسلمه الرائع ، وضمهجه القويم ،
 وأساليبه التي يحجز البشر عن محاكاتها ، وبجاراته التي تأخذ الأبواب وتأسر
 الأفتدة ، فهو آية الله الدائمة وجته الخالدة ، قال تعالى : " لا يأتية
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " صدق الله العظيم .
 لذا فقد انصرف لبيدا الى القرآن يقرأه ويتلوه ، وتوجه اليه بكل
 جوارحه وانكب عليه بكل عواطفه ، ويتمننه بكل أحساسه وجوارحه يحفظه
 ويكتبه ويتأمله ، حتى عدّ من القراء (١) ، وانقطع الى البر والخير والصالح
 والتقوى وقد جمع القرآن الكريم . (٢)

لهذا كله نراه قد أعرض عن قول الشعر في الاسلام ، فلم يتخذ
 صناعة ومهنة ، ولم يكثر من انشاده ، وما لم قلنا الى تلاوة القرآن الكريم ،
 فجلء شعره الاسلامي متضمنا الخير والصالح والتقوى ، وقد فطن الى هذه الحقيقة
 العالم اللغوي - أبو عمرو بن العلاء - حيث قال : " ما أحد أحب الى شعرا
 من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل ، ولا سلامه ، ولذكره الدين والخير ولكن

(١) الأغانسي ج ١٥ ص ٢٩٩

(٢) جمهرة أشطار العرب ص ٣١ أبو زيد القرشي .

شعره رحي بزر . (١)

وأن قول أبي عمرو - رحي بزر - يدل دلالة قاطعة لا تقبل الشك ،
بأن شعره الاسلامي لا يعتمد ^{عليه} أمام شعره الجاهلي ، في القوة والمتانة وقسوة
التراكيب والألفاظ الجزلة والأساليب المبهجة الجوانب ، ولتضمن شعره الخير
والصلاح ، نرى أن الأصمعي لم يكن ^{معجبا} بشعره فوصفه بأنه : " طيلسان
هلبري " أي جيد الصنعة وليست فيه خلابة ، ولم يحده من الفحول ووصف نفسه
بالصلاح تهربا من أن يحكم على شعره الديني ، لأن الأصمعي كان يرى فيطأ يرى
أن الشعر إذا دخل في باب الخير لان أي أصابه بعض الضعف .

ومن هنا فأننا نقول : انه انصرف عن الشعر ببعض الشيء ولم يهرجه
كما زعم كثير من الناس ، ولم يتخذ منه حرفة يحترفها ، بل أولاه بعض اهتمامه
في بعض الأحيان المتفاوتة مما بقي من حياته ، فأقلع عن كثير من أغراضه ، فمهرج
الهجاء ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من
قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن " صدق
الله العظيم ، وقد سبق القول : بأن هجاء لبید الجاهلي كان متزنا هادئا
لأن نفسية لبید سمحة كريمة وأنه لم يطبع على الهجاء ، ما عدا أرجوزته فسي -
الريبع بن زياد الحميري - عند النضمان ، أما بقية هجاء ^{هائه} ، فلا يعتمد وصمة
الآخرين بالجبن أو الخذلان ... الخ .

أما من حيث الفخر ، فقد كان لبید كثيرا ما يفخر بنفسه وقوه فمسي
الجاهلية ، ويكاد يكون الفخر صناعة لبید وهو عندما كان يفخر ، فاسما يفخر عن

حق ، فقد كان فارسا مجوادا ، كريما سخيا ، وقد آلى كما مرّ معنا أن يطعم
كلما هبت الصبا ، وحافظ على ذلك في جاهليته واسلامه ، وهذا الى جانب فخره
القوى بقومه ومجماعته المقربين ، والدفاع عنهم في مجالس الأتقوام ، وأطم الأشرار ،
أى أنه كان كثيرا ما يفخر بنفسه بأنه نحر للجزور لا ظلمام الأضياف ، وكثيرا
ما كان يرفد الجيران والمطفل بالجفان المكلفة بالثريد وأطياب الطعام ، ونسب
هذا الصدود يقول في معلقته :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمخالق متشابه أجسامها
أدعوبهم لما قرأ أو مطلق بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تبالة مخصبا أهضامها الخ
ويقول مفتخرا بقومه وأهله المقربين :

وهم السحاة اذا العشيرة أفطمت وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم والمرمات اذا تظاول عامها
وهم العشيرة أن يعطى حاسد أو أن يعيل مع العدو ولظامها
فهو يفخر بقومه بأنهم القائمون على الأمر ، والساعون في الصلح وحمل
الديات ، وهم الفوارس ومنهم الحكام والقضاة ، وهم لمن جاورهم كالربيع يهضمه
نفسهم ويحيونه بجودهم كما يحيى الربيع الأرض ، وكذلك هم للمرملات اللواتى
لا أزواد لهن ، اذا وجدن الزمن طويلا لما فيه من شدة كرب ، وهم العشيرة
الذين يقومون بأمرنا وأمرنا .

فهو فخر قوى ، متين التركيب ، رصين العبارة ، مجسم

الدياجمة الخ .

هذا كان أمره في الجاهلية ، أما في الاسلام فانه هجر الفخر ، ولم

يسمح منه فخر سوى رده على الرجل ^{الفتوة} الذي مر معنا في هذا الفصل .
 وهكذا . . . نرى الفروق الواسعة بين شعره في العصرين ، سواء
 كان ذلك من حيث الموضوع أو الديباجة ، ^{ونقف} ^{ونقف} على الجيوش الشاسعة
 في أشعاره الجاهلية والإسلامية .

فمن حيث الموضوع . . . فقد قال لبيد الشعر في كافة أغراضه
 الجاهلية المختلفة ماعدا الاعتذار ، لأنه لا يلائم نفسية العربي الأبية ، ولا يتشبه
 مع الروح القبلية التي كانت متمكنة في نفوسهم ^{النافع} ^{النافع} .
 فشعره الجاهلي مطبوع بالروح الجاهلية المحضة ، فخر بالنفس
 والقوم والعشيرة والأهل المقربين ، بل ربط يتحول ذلك الفخر إلى ما يشبه
 التعصب والعصبية الجاهلية العمياء ، وذلك كموقفه مع عامر بن الطفيل فسى
 المشادة الحنيفة التي وقعت بينه وبين عامر بن علاثة .

ومدح يكاد يخلب على شعر القوم ، وقد كان لبيد كثيرا ما يتمسح
 نفسه وجماعته المقربين ويرفعهم إلى مكانة الآمرين والناهين والمانعين إلى جانب
 رثائه الممزوج بالحكمة والحظة والتروى في مصير الإنسان والهدف من وجوده .
 جاء ذلك كله في أسلوب ضخم الديباجة قوى التركيب ، متمسك
 بالعبارة رصين الألفاظ ، حفظت اللغة وصانتها وأبقت على مفرداتها النجدية
 المريقسة .

أما من حيث بناء القصيدة كما سبق أن قلنا ، فهو قوى متمسك
 إلا أن القصيدة جاءت متنوعة الأغراض متفرعة الجوانب ، وهذا هو الطابع العام
 للشعر الجاهلي ، حيث كانت القصيدة محمضا لعدة أغراض مختلفة ، فقد
 يبدأها الشاعر بذكر الأطلال والوقوف عليها أو بالخزل وذكر الحبيب واستحضار

صورته ، ثم يدلنا الى المدح ثم الفخر وهكذا .

ولو أننا رجعنا الى الظروف البيئية أو الجاهلية آنذاك ، لوجدنا أن الشعر كان انعكاسا طبيعيا لنفسية العرب وصورة منعكسة للبيئة العربية الجاهلية .

فإذا ما تحدث الشاعر الجاهلي في موضوع لم يكن في مقدوره الا حاطة به وتفصيل جميع نواحيه ، بل كان يذكر ما سبق الى ذهنه بدون ترتيب أو تسلسل وكانت معانيه مجرد خطرات تدور حول الموضوع ، لا ترابط بينها يجعلها بنسأ فكريا محكما ، بحيث لا تستطيع أن تحذف منه بيتا أو تغير بيتا مكان بيت دون أن يؤثر ذلك في كيانها ، ولذلك كان البيت الشعري هو وحدة القصيدة ، كما امتازت معانيه بالايجاز ، والبعد عن التفصيل والاستقصاء .

وان معلقة ^{مهاجينا} هاجنا لبيد ولا ميتة خير مثال لذلك ، وكذلك سائر

المحلقات العربية . . . الخ .

أما في عصر الاسلام ، فقد عزف لبيد عن معظم ما تنسود ^{لغوة} في الجاهلية ودأب عليه ، ونهج على منهاجه ، فقد ترك المهجاء لأنه يؤلم الشعور ويجرح المواقف ويثلم الأعراض ، وان الاسلام نهى عن ذلك ، لذا فقد أشاح عنه وجهه وعقل عنه لسانه ، كذلك الفخر لأنه فخر بالاحساب والانساب ، والاسلام نهى عن ذلك كله وهمل ^{وهمل} التفاخر بالتقوى .

واتجه نحو الخير والصالح والفلاح والى الخالق يذكره ويحله ويتأمل آياته وخلقه ، كما أن لبيدا نفسه ، لم يعد ذلك الشاب الطموح ^{الطموح} ^{الصناع} الذي كان في شعره يحد أن تفتحت نفسه للقرآن الكريم ، ولم يكن ذلك العازف المنصرف عن الشمر كليا كما سبق القول .

الفصل الثمانى

بين الشاعر لبيد ومصاصريه

=====

قد تكون هناك نقاط متشابهة بين الشعراء ، وتفكير مقارب وطرائق

المسلك والمضجع والانتاج ، وقد يختلف الشعراء كذلك .

ولعل هذا الاختلاف وذلك الفرق ناشىء عن ظروف بيئية أو نتيجة جسة

لطول الممارسة والخبرة والتجربة ، وهذا الفرق إما يكون فى مكان حكيمة أو عذلة ،

أو ينفرد بعضهم عن الآخر بمعنى التقاء الآخر فعبّر عنه بتعبير متفاوت أو تشبيه

حسن .

فمثلا شعر الرجز لم يكن منتشرًا فى شعر الجاهليين ، كالأعشى وزهير

والنابغة ، وبالرغم من فحولة امرئ القيس واشتهاه فهو قليل الرجز .

أما لبيد ففى ديوانه حوالى خمس عشرة قطعة من هذا اللون الشعرى

تدور على الفخر والحكمة والمحاربة والثناء ، ولعل حياته البدوية ساهمت فى

تكوين هذه الحصيلة الشعرية فى نفس الشاعر ، فشعر البداوة أميل الى الرجز

نه الى القصيد ، ذلك لطبيعة الحياة السريعة المتقلبة الجافة القاسية .

ومن الملاحظ أن أراجيزه غير مطولة ، فأطول أراجيزه تبلغ واحدا وعشرين

بيتا وهى التى قالها فى سلمان الباهلى (وقيل : الحامرى) ، لما ندبه عصر

ابن الخطاب رضى الله عنه ، ليميز الخيل العتاق من المهجين ، فدعا بطست ماء

فوضعه فى الأرض ، ثم قدم الخيل واحدا اثر واحد ، فطأ ثنى سنبكه عده هجينا

وطأ شرب دون أن يثنيها عده عتيقا ، وذلك لأن أعناق العتاق طويلة وأعناق

المهجين قصيرة ، وقيل أن الأرجوزة ليست له ، نجترى منها الأبيضات

التاليسية :

من يمسك الله عليه أصبح
 بالخير والشربأى أولم
 يملأ الله منه ذنوبها ثم
 وقوم لقمان بن عاد أخسما
 اذ صاروه غلبى أن يصبرعا (١)

وتأتى بعد هذه الأرجوزة ، أرجوزة أخرى تبلغ ستة عشر بيتا

ومظهرها :

ان أبنا كان حليوا يسيرا
 أما بقية أراجيزه فمضى عبارة عن مقطوعات تتراوح بين العشرة
 وإثنى عشر بيتا ، بعضها فى الفخر والبعض الآخر فى المفاخرة ، كأرجوزته
 فى المناصرة بين الجدلين المعروفين " فامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة " :
 مظهرها :

ياهرما وأنست أهل عسبدل
 ان ورد الأحرص ماء قبللى (٢)

وهو هو : ابن قنطة الفزاري ، والأحرص : جد علقمة بن علاثة ، وقد غنى
 الشاعر بقوله : ورد ماء قبللى : تقدمنى فى الزعامة بحكم الزمن أو التحكيم . الخ .
 وبعضها فى المراثى وخاصة رثاء أخيه اريد ، وقد مر معنا طريف
 من هذا النوع .

وملاحظ ملاحظة عامة على أراجيزه ، أن هذه الأعراس كانت معظمها

(١) الديلمى وان ص ٨

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧

على التمثيل .

وربما يتعرض الشعراء لمعان حكمية مكتسبة من خبرتهم وممارستهم الطويلة للحياة وعرك وتقلبات الأيام ، يذيلون بها قصائدهم ويختتمون بها أقوالهم ، ولكنهم يختلفون في النظرة الجادة ، أو في الاستفادة من تجارب غيرهم ، وقد انفرد بعض الشعراء بالاكثار من ذكر الأبيات الحكمية ، كزديسر

ابن سلى وعدى بن زيد المبادى وليبد بن ربيعة وغيرهم كثيرين .
ومن الملاحظ لدى الباحث المتفحص أن نظرات لبيد وزهير في هذه

الجمال كانت قريبة من المعانى الاسلامية ، وذلك لأن الفترة التى سبقت عهد الرسالة الاسلامية - فترة ارهاص وتهيؤ - فقد كان هناك احساس بقرب هذا العهد وتبدل في القيم والمعايير ، ونبذ للتوجس ونفور من المصيبة الميتة وكره للجهل وانتشار الحلم والعدل وتهذيب الخلق وجمع للشمل وتكثيف العمل وتمحيص الجهود ، ونصرة المظلوم ومساندته ، وما حلف الفضول الا مثلاً حياً لتلك الفترة ، فليس غريباً إذن أن تظهر معان قريبة من المعانى الاسلامية في شعر صاحبا لبيد وغيره من الشعراء وليس غريباً أن يمتدح الرسول بيت لبيد القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل . . . وكل نعيم لامحالة زائل
ويظهر في شعر لبيد كثير من السموالى ما وراء الطبيعة ، والقائل
والتروى في آيات الله وهدف الانسان في الحياة ، ونهايته ومصيره بأسلوب فيه قوة وعاطفة وشدة تأثير .

يقول ابن عبد ربه : " ان لبيدا كان يتسلى في شعره وينفرد بهذه الخاصة عن زهير بن أبى سلى الذى يلة من الأمور المادية والبشرية ،

وعن أمية بن أبي الصلت الذي كان يهجو ويخبر ، وعن عدي بن زيد السدي
اتبع طريق التشأم واليأس ، فليبد يجمع بين هذه الطرائق الثلاث ويسمو
بها جميعا الى مصدر العدل والتعزية . . . الى الله . . . فيؤمن بـه
ايما نانا تاما ويتكل على عنايته اتكالا وثيقا حتى يمكن القول أن لبيدا خالق
الشعر الوعظي " (١)

ويقول الخشبي بن عبدالسلام : " شاعران من فحول الجاهليسة
لهما بيتان ، ذهب أحدهما مذهب العدلية والآخر ذهب مذهب الجبرية :
فالأول أعشى بكر حيث يقول :
استأثر الله بالوفاء والمعد

ل ولى الملامة الرجلا

والذي ذهب مذهب الجبرية هو لبيد بن ربيعة حيث يقول :
ان تقوى ربنا خير نفل . . . وماذن الله ريشى وعجل
من هداه سبل الخير اهتدي . . . ناعم البال ومن شاء أضل
أما في الفن الرثائي ، فقد برع لبيد فيه كل البراعة وجود فيه كل
التجويد ، فجاء رثاؤه مليء بالمواطف والاحساسات العميقة ، وتظهر فيسه
طبيعة الحزن وأساليب التعزية والكلام المنتقى والحكم الحادة ، ومن الممكن
أن يوضع لبيد أو يحد في المكانة التي يوضع فيها مهلهل ربيعة والخنساء ،
وقد فضله الدكتور طه حسين على الخنساء وقد مدح عليها في الرثاء فقال : " ولست
أدرى كيف يمكن أن تقدم الخنساء عليه في رثائها وهو عندى أبرع منها في تصوير

الحـزن وصب اليأس في القلوب من غير ضعف ولا وهن " (١)

أما ان شعر لبـيد يصب اليأس في القلوب من غير ضعف ولا وهن ،
 ومـصـور الحزن تصويراً بارعاً ، فهذا أمر صحيح ، وصحيح أن نذكر الخـنـساء بجـودة
 الرثاء في عاطفتها الأنثوية الرقيقة وجزعها المولم الذي يفتت الأكـبـسـاء ،
 وإن عيب عليها تكرارها على أمور مادية •

والى هذا الرأي ذهب بطرس البستاني حيث قال : " ورثاؤها
 — أي الخنساء — عاطفي بحث ، ولا يشموه تكلف ولا يرتفع بها الفكر السبي
 المعاني الحكيمـة السامية التي تجدها في رثاء لبـيد لأخيه " (٢)

أما ابن سلام ، فقد عده في طبقاته من الرثائيين الأرسـاء
 المتقدمين عنده •••

(١) حديث الأرساء ج ١ ص ٥١

(٢) أدباء العرب ص ١٩٠ ط ٥ خامسة — بيروت •

الفصل الثالث

تقوم شعر الشاعر على ضوء الخصائص العامة
لكل من شعر الجاهلية والاسلام
=====

محمد ٠٠٠

فقد كانت الأخبار القليلة عن لبيد الجاهلي سببا في عدم اقسام
الكثيرين في الكتابة عنه كتابة مستفيضة موسعة ، حيث كان يكتنف حياة لبيد
قبل الاسلام كثير من الغموض ، ومخالطها الالتباس بينه وبين لبيد آخر ،
وهذا يرجع الى أن النصوص القديمة تتخللها أحداث موهومة لا تخلو من
التخييل والافتعال ، كما أن بعض النصوص لا يعدد وكونه خيرا عن مكرمة من
مكارمه أو مهاجته لأعدائه وأعداء قومه أو افتخاره بنفسه أو بهم ، على الرغم
من أنه قضى مدة طويلة من عمره في الجاهلية ، فان الرواة لم يرووا إلا نذرا
يسيرا من أحداثه ومواقفه .

وهي بدون شك أخبار نادرة وخاصة أنه عاش القسم الأكبر من عمره
في زمن الجاهلية وأن هذه الأحداث لا تتناسب مع المدة الكبرى التي عاشها الرجل
ونعتقد أن السبب في ذلك يرجع الى أن جزءا كبيرا من أشعاره قد فقدت وبالتالي
فقدت معظم أخباره .

ولكن هذه الأخبار القليلة أجمعت على أنه كان رجلا كريما حريصا

على احساب قومه ذاكرا لأجدادهم بارأ بهم الخ .

وقد هيكت حوله أسطورة تركه الشعر بعد اسلامه وابطانه بما جاء به
أشرف الخلق وخاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى صحابته أجمعين ،
مما دفع كثيرا من الأدباء والنقاد بالاحجام عن دراسته دراسة مستفيضة ، وتقويم
شعره ووضع في المكانة اللائقة به ما عدا قلة قليلة عرفت شعر الرجل ومكانته ،
ومع هذا فأننى أرى أن الرجل لم يأخذ حقه من الدرس والعناية أسوة ببقية

أخوته من الشعراء ، ولم يقيم تقييماً أدبياً يليق بمكانته ، ولم ينزل المنزلة الرفيعة التي أنزل اليها من هو أقل منه شأنًا ومكانة ، ولست أدرى سببا لذلك ١٠٠ فهل مرد ذلك يرجع الى القموض الذي يلف حياته الجاهلية ؟ أم يرجع ذلك الى تلك الأسطورة القديمة والالتباس بينه وبين سبيه لبيد الفارس الفاني ؟ أو يرجع الى أسطورة تركه الشعر في الاسلام ٠٠٠ ؟ لدرجة أن ناقدا عربيا مشهورا تهرب من الحكم على شعره وتقييم انتاجه الفني ، فالأصمى مثلا وصفه بالصلاح والوفاء تهربا من الحكم عليه ، لأن الأصمى كان يرى فيما يرى أن الشعر اذا دخل باب الخبر لان أى ضعف ٠٠ الخ .

الواقع أن كل هذه الأسباب مجتمعة وقعت حائلا دون ذلك ، وعلى الرغم من هذه الأسباب وذلك القموض وتلك الحوائل ، فان تركه الرجل الفنية التي تركها بالاضافة الى رأى النبطاء ومؤرخى الأدب العربى كفيلان بأن ينزلاه منزلة أدبية لا ثقة به وهما الفصيل فى تقييم شعر الرجل ٠٠ فهو بلا شك يتمتع بمكانة شعرية رفيعة ، ويحتل منزلة أدبية محترمة بين شعراء عصره ، وينزل منزلة عالية فى نفوس الأدباء ومؤرخى الأدب وجامعى سير عظماء الرجال ، فأبو زيد القرشى قدمه على شعراء الجاهلية والاسلام ، فقال : " انه أفصلهم فى الجاهلية والاسلام وأقلهم لغوا فى شعره " (١) ٠ الخ .

فلبيد كان بلا شك يتمتع بمكانة شعرية رفيعة ، ويحتل منزلة أدبية محترمة بين شعراء عصره ، وينزل منزلة عالية فى نفوس الأدباء ومؤرخى الأدب وجامعى سير عظماء الرجال ، وقد خلف تركه شعرية قيمة تداءل بها

أفواه وألسنة الرواة والأدباء والعلماء والأمرء والوزراء ، فكل هؤلاء كانوا
يرددون أشعاره ويتخلون بها ، معجبين بها تارة ومستشهدين بها تارة
أخرى ، فان دل ذلك على شيء فانما يدل على شهرة الرجل وعلى انتشار
أشعاره بين الخاصة والعامة وعلى متانة ورهانة أسلوبه وطلائعته للعقلية
الحرية وعاداتها وتقاليدها . . . الخ .

وقد مرت معنا رواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وعبد الملك
ابن مروان حيث كان ينشد شعر لبید وهو على فراش الموت فيبحث فيه القسوة
والصبر وكذلك المعتصم .

ولو أننا تتبعنا بناء القصيدة عند لبید لوجدناه وحدة متكاملة ،
يتم بعضها بعضها ، ويمهد كل بيت لأخيه دون انقطاع أو اقطاع ، فكان
يحسن الاختيار والانتقال من موضوع لآخر ويمهد له ، ففي قصائده الطويلة
كان يسلك مسلك الجاهليين من حيث تقسيم القصيدة الى موضوعات تقليدية
مألوفة ، وقد أشرنا الى ذلك عند تعرضنا للمعلقة وقصيدته الالامية ، أما
قصائده الأخرى فتتوفر فيها الوحدة الموضوعية ، من فخر ورثاء وحكمة ،
ولا يكاد يخرج عن الموضوع الواحد التام ، وكذلك ^{قصيدته} كقصيدته المينية فسمى
رثاء أخيه أرسد :

بلىنا وما تبلى النجوم الطوالح

وتبقى الجبال بعدنا والمهراج (١)

فهو لم يخرج عن الموضوع الواحد ، وقد يستعمل قصيدته بالوقوف على طلسل
أو مخاطبة امرأة أو يمهّد لفرضه بموضوع آخر ، مثل قصيدته الميمية :

طلل لخولة بالريسيس قديم ••• فيعاقل فالأنعمين رسوم (١)

أما من حيث الأسلوب ، فكان أسلوبه يمتاز بالرصانة والمتانسة
مروعة المعاني وعمق التشبيهات المستمدة من البيئة العربية ، وكان يتوخى
السهولة والوضوح مبتعدا عن الغريب الموحش وما يوقع في الوهم ، متحرّسا
الدقة وسلامة التعبير ، متحاشيا الفخوض والوعورة الموفلة والخيال الجاف .

ومن حيث الألفاظ فهي من الدقة في مكان ، فكانت ألفاظه قديمة
خلابة منتقاه على قدر المعنى ، وهو لم ينحدر الى السقوط والسفاساف الذي
انحدر اليه كثير من فحول الجاهلية والاسلام ، فلفظه سليم لا ركاقة ولا سقم
فيه ولا غبار عليه ، ويكفيه فخرا أنه على رأس الشعراء الذين أخذت عنهم
اللغة العربية ، فألفاظه على جاهليتها ومدائنها لها وقع موسيقى أحسان
وعذوة شعرية ساحرة ، الى جانب جزالة وفخامة تستسيغها الأذواق وتمهفو
لها النفوس وتلذذ لها الأساطع وتطرب لها الآذان .

هذا ••• وقد أجاد لبيد في كافة الأغراض الشعرية المعروفة
اجادة تامة ، من فخر وثناء وهجاء وحكمة ووصف ومدح وغزل ، الا أن غزله
كان فاترا باردا لا حرارة فيه ، وقد أشرنا الى ذلك فيما سبق .

والأخبار القليلة التي تروى حياته بعد أن أسلم تصفه كلها رجلاً

كريماً صافي الطبع حلوا الشيطان معتدل المزاج شديد الورع والتقوى يساراً
بالناس جميعاً ، فنراه كريماً جواداً لأن الاسلام يحب الجود والكرم ،
ونراه خاشعاً متواضعاً لأن الاسلام يحب الخشوع والتواضع ، ونجسده
قد انصرف عن الهجاء لأن الاسلام يكره التفاخر بالآساب والأنساب
والتنازع بالألقاب والتعرض لثلم أعراض الناس .

وقد انكب لبید علی القرآن الکریم یقرأه یتفهمه یتفحصه
یتعمق فی معانیه محاولاً ادراک آیاته المعجزة التي عقدت ألسنة
الشعراء ، يستلهمه ويستمد منه معانيه وتشبيهاته ، فانطبعت أسماؤه
بروح الوحي الأمين ، فجاء شعره متضمناً الخير والصلاح والفلاح .

قال يذكر طول عمره وسأله من الحياة ويتحدث عن مآثره ومقاماته :

قضى الأمور وأنجز الموعود . . . والله ربي ماجد محمود
وله الفواضل والنوافل والملاء . . . وله أثيث الخير والمعدود
ولقد بلغت ارم وعاد كيده . . . ولقد بلته بعد ذلك ثمود

.....

وشهدت أنجیة الأمانة عالياً . . . كحیی ، وأرداف الملوك شهوداً (١)

نتائج البحث

===

محمد ...

هذا هو لبيد ، لبيد الرجل البدوي الجاهلي ، الذي عرفناه من خلال شعره ، رجلا كريما مقداما شهيدا ، وهذه حياته التي يحفظها كثير من الفموس ويلفظها ستار كثيف من الإهمال والنسيان ، وتلك هي حياته الجاهلية على ما نرى بعض نواحيها من التباسات وزيادات ، وهذه هي حياته الإسلامية على ما فيها من اضطراب وإرتباك ، إلا أنها واضحة بعض الوضوح لو قيسست بالنسبة لحياته الجاهلية .

وهذا شعره الذي ^{يظهر} يفتخر عهدا كبيرا من الجاهلية ومدة يسيرة من الإسلام ، شعر نجدى بدوى أعرابى جاهلى ، والذي تأثر بروح الإسلام فصرفه عن الفخر والهجاء وضعه عن قول الشعر إلا في ^{أوقات} أوقات الصفاء وساعات الشكر والتحميد .

ومع ذلك فاني أرى أن هذه الدراسة له قد تخللها كثير من الاقتضاب والاختصار ، كما أنني بحثت عن كتاب يتناول شاعرنا بالشرح والتعريف والتبسيط ووضعه في المكانة اللائقة به بين أقرانه من الشعراء - ولكن - لم أعر على مثل هذا الكتاب مع الأسف .

ولمّا ...

فاني أرى أن المكتبة العربية في حاجة ماسة الى مثل هذه الدراسة بل الى دراسة موسعة مستفيضة تتناول لبيدا الجاهلي ، ولبيدا المسلم ، ولبيدا الشاعر ، الذي عاش عمرا طويلا ... الخ .

وأرجو من الله أن يوفقنا ، والحمد لله أولا وآخرا .

أهم مراجع البحث

=====

اسم المرجع	المؤلف
ديوان لبيد	دار صادر بيروت
جمهرة أشعار العرب ج ٣	أبو زيد القرشي ط مصر ١٩٢٦م
حديث الأرحم ج ١	طه حسين
أدباء العرب	بطرس البستاني
العقد الفريد	أبو عبد الله
الأغانى ج ١٥، ١٤	أبو الفرج الأصفهاني
الكامل في اللغة والأدب	البهر
معجم الشعراء	المؤلف
المقدمة	أبو رشيد
الشعر والشعراء	أبو قتيبة
شرح المعلقات السبع	الزوزنى
الديوان طه ليدن بعناية هور	تقديم كارل بروكلمان
تاريخ الأدب العربى	كارل بروكلمان
الاصابة	المسقلاني
الاستيعاب فى معرفة الاصحاب	أبو عبد الله
السيرة النبوية لابن هشام	تحقيق طه رؤف طه الحلبي
التامل فى التاريخ	أبو الأثير
العرب قبل الإسلام	جورجى زيدان
طبقات الشعراء	محمد بن سـ لام
كتاب المفسرين	المسجلاني

الفهرس

=====

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٢	لماذا اخترت هذا البحث
٤	محتاج البحث
٥	البيئة وأثرها في الشعر الجاهلي
١٣	مواقف الشعراء من الدين الجديد
١٣	شعراء المدينة
١٣	شعراء مكة والطائف
١٤	شعراء البادية

الباب الأول

=====

١٩	عصر ليلى وحياته
٢٠	الفصل الأول : عصر الشاعر (بين الجاهلية والاسلام)
٢٥	الفصل الثاني : حياة الشاعر وشاعته
٢٥	التحريف به
٣٠	علاقته بمحاصره في الجاهلية والاسلام
٣٦	مواقف من حياته
٣٦	أ. مواقف في الجاهلية
٥٦	ب. مواقف في الاسلام

الباب الثاني

=====

٧٤	شعر ليلى
----	----------------

الصفحة	الموضوع
٧٥	الفصل الأول : مضمون الشعر عنده
١٠٥	الفصل الثاني : أسلوب الشعر
١٠٩	المعارات والأوزان
	الباب الثالث
	=====
١١٣	شاعرية لبيد
١١٦	الفصل الأول : خصائص شعره في كل من الجاهلية والإسلام
١٣٨	موازنة بين شعره في المصنوع
١٤٣	الفصل الثاني : بين الشاعر لبيد ومناصريه
	الفصل الثالث : تفهيم شعر الشاعر على ضوء الخصائص العامة لكل من
١٤٨	شعر الجاهلية والإسلام
١٥٣	نتائج البحث
١٥٤	أهم مراجع البحث
١٥٥	الفهرس